بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كليـــــة الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها - برنامج ماجستير الأدب والنقد

الزمخشـــري ناقـــداً

دراسة في شواهد الكشـــاف الشعريـــة على الأساليب التركيبيـــة

رسالـــــة ماجستيـــــر

إعداد الطالبة

سماء محمود عبدالمجيد الخالدي

إشراف

الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزمخشري ناقداً

دراسة في شواهد الكشاف الشعرية على الأساليب التركيبية

إعداد الطالبة

سماء محمود عبدالمجيد الخالدي

بكالوريوس لغة عربية، جامعة اليرموك، ١٩٩٥م.

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، كلية الاداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس .....(رئيساً)

الأستاذ الدكتور عفيف عبدالرحمن .....(عضواً)

الأستاذ الدكتور قاسم المومني .....(عضواً)

قائمة المحتويات

المقدمـــــة ١

الفصل الأول

الاستشهاد بالشعر في الإرث المعرفي العربي..... ٦

المبحث الأول: الاستشهاد لغةً واصطلاحاً ٧

المبحث الثاني: الاستشهاد بالشعر عند علماء اللغة والأدب والمؤرخين وفي علوم الدين. ٩

المبحث الثالث: الشعرية بين الخصوصية الفنية والعمومية الدلالية..... ٢١

المبحث الرابع: مدى التزام علماء العربية بالمفهوم العام للاستشهاد..... ٢٥

وبخاصة الإمام الزمخشري..... ٢٦

الفصل الثاني

شواهد الأساليب التركيبية في «الكشاف»: دراسة نقديّة..... ٣٣

المبحث الأول: الزمخشري وكتابه الكشاف ٣٤

المبحث الثاني: شواهد الأساليب التركيبية ٣٩

المبحث الثالث: مفهوم الأساليب التركيبية ٤٠

المبحث الرابع: شواهد الأساليب التركيبية النحوية ٤٢

المطلب الأول: العطف ٤٢

المطلب الثاني: النعت (الصفة): ٥١

المطلب الثالث: الاستثناء ٥٦

المطلب الرابع: القسم..... ٦٠

المطلب الخامس: البدل..... ٦٢

المطلب السادس: التوكيد ٦٤

المطلب السابع: الاستفهام:..... ٦٨

المطلب الثامن: التعريف والتنكير..... ٧٣

المطلب التاسع: التعجب:..... ٧٥

المبحث الخامس: شواهد الأساليب التركية النحوية ذات الدلالات البلاغية:

المطلب الأول: الحذف ٧٧

المطلب الثاني: معاني الحروف ٨٢

المطلب الثالث: التقديم والتأخير..... ٨٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث السادس: شواهد الأساليب البلاغية:
المطلب الأول: الاستعارة ٨٩
المطلب الثاني :التشبية ٩٣
المطلب الثالث: الإشارة إلى المؤنث بالمذكر ٩٥
المطلب الرابع: الالتفـــات ٩٧

الفصل الثالث
ملامح النقد عند الزمخشري ١٠١
المبحث الأول: الاستشهاد عند الزمخشري ١٠٢
الأولى: الشواهد الخارجة على عصر الاحتجاج ١٠٣
الثانية: الشواهد مجهولة القائل ١٠٥
الثالثة: الاستشهاد بشطر من البيت أو أقلّ ١٠٦
الرابعة: الاستشهاد بأكثر من بيت على نفس القضية ١٠٨
الخامسة: الاستشهاد بشعر شاعر أكثر من غيره ١١٠
السادسة: نسبة الشواهد إلى قائليها ١١١
السابعة: الاسترسال في التعليق على بعض الشواهد ١١٢
الثامنة: تنوع صيغ الاستشهاد ١١٣
المبحث الثاني: مفاهيم الزمخشري النقدية من خلال الشواهد المدروسة: ١١٧
المعنى عند الزمخشري ١١٧
مفهوم التشبيه عند الزمخشري: ١١٩
مفهوم الاستعارة عند الزمخشري: ١٢٢

الخاتمـــة ١٢٥
المصادر والمراجع ١٢٦
فهرس الآيات القرآنية الكريمة ١٣٨
فهرس أبيات الشعر حسب ورودها في الرسالة ١٤١
فهرس أبيات الشعر المشمولة بالدراسة ١٤٦
فهرس أنصاف الأبيات ١٥٣
الملخص باللغة الإنجليزية ١٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزمخشـــري ناقـــداً

دراســـــة في شواهـــــد الكشـــــاف الشعريـــة

علـــى الأساليب التركيبيـــة

إعداد الطالبة

سماء محمود عبدالمجيد الخالدي

إشراف

الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخـــص

حاولت هذه الدراسة أن تقف على مفهوم الاستشهاد عند الزمخشري، من خلال بحث عدد من الشواهد الشعرية المختصة بالأساليب التركيبية والبالغ عددها مئة وخمسة شواهد، لشعراء داخلين في عصر الاحتجاج أو خارجين عنه، وخلصت من خلالها إلى أن الاستشهاد بالشعر عنده لم يتخذ الطابع الجدّي الدال عليه مفهوم الاستشهاد، فإنه يورد البيت حيناً على سبيل الاستشهاد حقيقةً ويورده أحياناً كثيرة مستشهداً ومهملاً ذلك المعنى المستشهد عليه وبهذا فقدت عملية الاستشهاد عنده علميتها وجديتها.

ومع كل ذلك اتسم طابع الاستشهاد عنده بالمرونة والسلاسة سواء في الأسلوب المستخدم وهو حواريّ جدليّ في الغالب أم في شدة إحكامه للفظ المستخدم وتنويعه لصيغ الاستشهاد، فلم يكن داخلاً في التبعية الزمنية والمكانية للغويين والنحاة ولم يتفلّت كذلك من إجلاله للعربية التي بها كان التنزيل العزيز.

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً، «الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً»، وصل اللهم على نبينا محمد تسليماً معظماً، وبعد

فإنني بعد أن انتهيت من دراسة المساقات المقررة للحصول على درجة الماجستير، كان لزاماً علي أن أبحث عن موضوع مكمل لنيل هذه الدرجة، ولما كانت الموضوعات كثيرة ومتنوعة آثرت من بينها أن أختار موضوعاً يثري البحث العلمي العربي ويكون وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية لما بينهما من ترابط وانصباب متبادل في مباحثهما، فكان أن وقعت على هذا الموضوع وهو الزمخشري ناقداً، ولا تخفى مكانة الزمخشري إماماً للتفسير متكلماً ومعتزلياً وبلاغياً، وجهوده في الوقت نفسه تعمل على مزج الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية، ولا تخرج كل تلك الجهود عن تأكيده سبحانه وتعالى حفظ وصون التنزيل العزيز المتضمن في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

أما تلك الدراسات التي تناولت جانب النقد عند الزمخشري فهي منعدمة، إذ كانت معظمها تراه بلاغياً، وهذا ما أراد البحث أن يتحقق منه، ويثبت ملامح النقد عند الزمخشري في الآن نفسه من خلال دراسة الشواهد الشعرية لأحد أهم كتبه وهو تفسيره الكشاف، ولا تعارض، إذ دخلت الدراسات البلاغية اليوم، في إطار النقد، لذا لاحاجة للقول ببلاغة الزمخشري في حال إثبات كونه ناقداً.

أما أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها خلال مسيرة البحث فأولها «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، وهو تفسير الزمخشري المعروف، والذي به كان اشتهاره، وقد اعتمدت عليه كلياً في استخراج الشواهد موضع الدراسة وكذلك أكثرت استعانة بكتاب «الشواهد والاستشهاد في النحو»، لعبدالجبار النايلة، فإنه استقصى قضية الاستشهاد عند عدد غير يسير من النحاة على اختلاف مدارسهم وعصورهم، ثم «خزانة الأدب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولب لباب لسان العرب» لعبد القادر البغدادي، فكان رجوعي إليه في التعليق على الشواهد كثيراً حيث إنه في أصل وضعه كتاب لشرح شواهد شعرية، وأخيراً كان اعتمادي في نسبة الشواهد إلى أصحابها «معجم شواهد النحو الشعرية»، أ.د حنا جميل حداد، وكتاب «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» لمحمد عليان المرزوقي الشافعي، وكتاب «تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات» لمحب الدين أفندي.

أما الجهد العلمي الذي كان عليّ القيام به فهو تناول الشواهد الشعرية المختارة ودراستها، وذلك بعرضها على الآيات القرآنية المستشهد بها عليها، ومن ثم ملاحقة الزمخشري في طريقته بالاستشهاد، لأخلص في النهاية إلى حصر ملامح النقد عنده، وقد قمت بكل ذلك ما وسعني الجهد.

جاء البحث في ثلاثة فصول هي:

الاستشهاد بالشعر في الإرث المعرفي العربي وهو الفصل الأول ابتدأته بتعريف الاستشهاد في اللغة والاصطلاح، عارضة لمجموعة من التعريفات التي تبناها عدد من الباحثين، ثم عمدت من خلال مفهوم الاستشهاد إلى النظر في مصنفات عدة فروع معرفية، لأخلص إلى طبيعة الاستشهاد بالشعر فيها وهذه الفروع هي: علم اللغة والأدب والتأريخ وعلوم الدين، فالاستشهاد بالشعر في علوم اللغة والأدب اتخذ طابعاً تقديسياً، فإن الشعر كلام العرب، يصدر عن سليقة لا يطالها الخطأ- حسب اعتقاد العلماء- وكلما تقدم الزمن ابتعدت درجة صفاء اللغة ونقائها، فكان التأطير الزماني لقضية الاستشهاد، فالعلماء توقفوا بالاستشهاد عند القرن الرابع الهجري لعرب أهل الجزيرة.

وأما التأريخ، فقد اتخذ طابع الاستشهاد فيه طابعاً تزيينياً تبعاً لجفاف السردية التأريخية، فالمؤرخ لايجد بداً من إيراد مقطوعات شعرية دونما سند متصل بمن يوثق بالنقل عنه ظاناً بالقارئ تصديق روايته وهو أسلوب لا يؤخذ مأخذ الاستشهاد ويحمل على التزيين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي علوم الدين تطرقت إلى اللجوء إلى الشعر طلباً لتفسير ما غمض من معاني قرآنية، فابن عباس رضي الله عنه كان رائداً في انتحاء هذه الطريقة، فأكثر من الاتكاء على شعر العرب خاصة في تفسير الغريب، وكان لايرجع إلى بيت من الشعر إلا وهو معروف القائل مروياً عن ثقة، إيماناً منه بأهمية الضبط في رواية البيت الشاهد.

ثم تحدثت عن «الشعرية» ومدى صلاحيتها للاستشهاد، فإنها قضية تضيق لتتأطر في الخصوصية الفنية، وتتسع لتشمل عمومية الدلالة، ولا تناقض ثَمَّ، فاللغة الشعرية «نسيج مفعم بالمظاهر الدلالية، لهذا فهي أكثر لغة احتمالاً لفنون التأويل بسبب استعمالها المجاز وبسبب كونها بؤرة خصبة للدلالات، إنها معرفة مشحونة بالصور وبالرموز، إضافة إلى أنها خرق مستمر للمعطى السائد»[1]، وهذا الخرق الذي يشكل مغايرة للغة الاستعمال العادي في كلام البشر تسامى وارتقى ليرتفع مشكلاً في التنزيل العزيز خرقاً آخر أكثر اتساعاً احتواه الإعجاز القرآني فيما احتوى فلغة التنزيل عربية من جنس كلام البشر، وإلا ما كان تحدى رب العزة الإنس والجن أن يأتوا بمثله.

وجاء الحديث أخيراً على مدى التزام علماء العربية بالمفهوم العام للاستشهاد مركزاً على مفهوم الزمخشري له، فكما وجدت فئة من العلماء التزمت بالإطارين الزماني والمكاني، وجدت فئة آثرت التفلت منهما بتوسيع دائرة الاستشهاد بحجة أن اللغة لا تنحصر فصاحتها في قوم دون غيرهم، ولا زمان دون سواه ناسين أن للاستشهاد أصولاً ينبغي مراعاتها، وفقاً للقضية المستشهد عليها، ففي حالة القرآن الكريم وجب الاستشهاد بنصوصٍ سابقة عليه ضرورةً، وإلا بطل الاستشهاد لاحتمال كون الشعر اللاحق على نزوله الكريم آخذاً بأساليبه ومعتمداً على بلاغة تراكيبه، وقد وقع بعض العلماء ومن بينهم الزمخشري في مثل هذا من الاستشهاد بالمتأخرين.

---

(١) عزيز توما، اللغة الشعرية، نظرية الانزياح (كوهين وتودوروف) مجلة كتابات معاصرة، المجلد السابع، عدد ٢٦، ١٩٩٦، ص٩٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد جاء الفصل الثاني بعنوان: **شواهد الأساليب التركيبية في الكشاف: «دراسة نقدية»**. شكل هذا الفصل عماد الدراسة من حيث استيعابه عدداً من المباحث تناولت الزمخشري وكتابه الكشاف، وفيه ألمحت إلى حياة الإمام وإلى الكشاف إلماحاً سريعاً كمدخل لدراسة الشواهد الشعرية المختارة من الكشاف حيث صنفت وبوّبت الشواهد جميعَها تمهيداً لاختيار ما يتناسب مع طبيعة البحث، وقسمتها إلى الأقسام الآتية:

أولاً: شواهد شرح مفردة قرآنية.

ثانياً: شواهد شرح معنى قرآني.

ثالثاً: شواهد القراءات القرآنية.

رابعاً: شواهد الأساليب التركيبية.

والقسم الرابع هو مدار البحث، فإنه لما كان القسم الأول مشبعاً من قبل قدماء العلماء في مبحث «غريب القران» والثاني لغوياً بحتاً، والثالث لا يحظى بعدد من الشواهد يسمح بالاتساع في دراستها ليخرج البحث علمياً مكتملاً، كان تناولي للقسم الأخير فوضحت مفهومي المتبنى للأساليب التركيبية، وقسمت الأساليب بحسب وظيفتها الإبلاغية إلى أساليب تركيبية نحوية وأخرى نحوية ذات دلالات بلاغية وأخيرة أساليب بلاغية، وتحت كل مجموعة اندرجت عدة محاور أسلوبية استشهد الزمخشري عليها بشواهد شعرية، وكل هدفي البحث عن وجه الاستشهاد وتبين طريقته فيه وأسلوبه في العرض، ومدى صلاحية الشاهد لدعم المسألة ورفعها إلى درجة القبول.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: **مفاهيم الزمخشري النقدية من خلال الشواهد المدروسة**، وفيه حاولت أن أجلّي ملامح نقدية ابتدأتها بما يتعلق بالاستشهاد، لأصل إلى تصنيف الشواهد في مجموعات منها الخارجة عن عصر الاحتجاج ومنها الشواهد غير المكتملة التي اكتفى الزمخشري بذكر شطر أو بعض شطر ومنها مجهولة القائل أو متعددته ومن ملامح الاستشهاد أيضاً نسبة الشواهد إلى قائليها أو عدم نسبتها وطريقته في عرض الشاهد وتنوع صيغ الاستشهاد لديه.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثم أتبعت ذلك كله بالحديث عن عدة مفاهيم نقدية أكثر الزمخشري من إيرادها بصورة استدعت معها إيضاحها والوقوف على مدى تبعيته للعلماء السابقين أو استقلاليته فيما يذهب إليه، ومن تلك المفاهيم التي تناولتها:

- المعنى
- التشبيه
- الاستعارة

وختمت كل ذلك بخاتمة فيها أهم نتائج البحث، ومنها عدم صلاحية الشواهد الشعرية المتأخرة على نزول القرآن الكريم زمنياً، لاحتمال التأثر به وبأسلوبه، حتى تلك التي تدخل في عصر الاحتجاج منها، ثم اتخاذ القرآن الكريم أصلاً للاستشهاد خاصة بعد أن تم استيعابه وحل مغالق مفرداته وأساليبه وتراكيبه، ولاغرو إذ هو الجامع لكل إمكانات العربية اللغوية.

وفي الختام، لايفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس الذي تعهد هذا البحث منذ البداية، حيث وافق على الإشراف عليه باذلاً أقصى جهده العلمي في إبداء الآداء العلمية والمنهجية التي وضعت البحث في طريقه المستقيم، وصححت ما كان منه اعوج بين الحين والآخر، فله الشكر وله العرفان على كل ما منحني من علم وصبر وتوجيهات.

كما لايفوتني أيضاً أن أتقدم بوافر الشكر وكثير الامتنان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عفيف عبدالرحمن لما تجشمه من عناء قراءة البحث، ولكل ما قدمه لي من تشجيع وحث على الاستمرار دائماً في طريق العلم، والأستاذ الدكتور قاسم المومني الذي تحمل ما تحمل من نصب قراءة البحث ومازال يزودني بكل ما أحتاج إليه من كتب مكتبته الخاصة، فلهما مني وافر الشكر، وجزاهما الله عني خير الجزاء.

وفي الختام أرجو أن يكون ما توصلت إليه من نتائج صواباً يحتمل الخطأ، وما ذهب إليه غيري خطأ يحتمل الصواب، واللهَ تعالى أسألُ العفو والسداد والحمد لله رب العالمين.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الأول

الاستشهاد بالشعر في الإرث المعرفي العربي

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: معنى الاستشهاد بالشعر لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الاستشهاد بالشعر عند علماء اللغة والأدب، والمؤرخين وفي علوم الدين.

المبحث الثالث: «الشعرية» بين الخصوصية الفنية والعمومية الدلالية.

المبحث الرابع: مدى التزام علماء العربية بالمفهوم العام للاستشهاد وبخاصة الإمام الزمخشري.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: الاستشهاد لغةً واصطلاحاً.

تكاد تجمع المعاجم اللغوية على أن مادة (ش هـ د) تدور حول معنى الإثبات والقطع والحضور، فالله سبحانه وتعالى هو «الشهيد» الذي لا يغيب عن علمه شيء، أي أنه سبحانه حاضر في كل شيء قطعاً، والشهادة هي الخبر القاطع يأتي به الرجلُ لإثبات شيء رآه أو علمه أو سمعه، فهو شاهدٌ وشهيد، والشهيد: " الحيّ الحاضر عند ربه».[١]

أمّا في اصطلاح أهل اللغة والنقد والأدب فالاستشهاد عندهم هو «الاحتجاج للرأي أو المذهب»[٢]، وهو إرادةُ «إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليلٍ صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة»[٣]. وهو أيضاً «الجزئي الذي يُستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهو أخص من المثال».[٤]

ولا يكون الاستشهاد في الغالب على القضايا الشائعة المشهورة، إلا إذا طُلب ذلك، فقد كان مثلاً «على النحوي الذي يريد إثبات قاعدته أن يأتي بشاهد أو حجة لتكون دليلاً ساطعاً وبرهاناً صادقاً وخبراً قاطعاً على صحة قاعدته، ويبدو أن العلماء كانوا مطالبين بالشواهد - أدبياً- على كل ما يقررونه من قواعد أو يقولونه من آراء إذا كانت غير مألوفة أو غير مشهورة».[٥]

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم؛ لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (شهد).
وانظر أيضاً: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢، مادة (شهد).

(٢) محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، مادة (الاستشهاد).

(٣) عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٢، نقلاً عن إبراهيم أنيس، في أصول النحو.

(٤) محمد علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٧، ج٤، مادة (شاهد).

(٥) عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد، ص ٢٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما مادة الاستشهاد فهي آيات القرآن الكريم، وما صح من الأحاديث النبوية وكلام العرب وشعرهم[١]، إلا أنّ ذهن القارئ يحيل أول ما يحيل عند سماعه لكلمة «الشاهد» إلى الشاهد الشعري، حيث كان اعتماد «النحاة على الشعر في تقعيد اللغة اعتماداً كلياً... بدءاً من كتاب سيبويه -قرآن النحو- وحتى العصور المتأخرة».[٢]

وكان لا بد للعلماء من تحديد أطر زمانية ومكانية يسير عليها الاستشهاد، فلم يسمعوا إلا من «الثقات من الرواة، أو فصحاء الأعراب، كما حددوا سماعهم من قبائل قليلة كانت تقطن في بوادي وسط وشرق الجزيرة كقيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، وتركوا القبائل التي كانت تسكن في أطراف الجزيرة لاتصالها بأمم أجنبية»[٣] واستبعدت بطبيعة الحال القبائل التي سكنت شمال الجزيرة وكذلك الجنوب لمتاخمتها اليمن، التي ما لسانها بعربي.[٤]

بيد أن العلماء لم يلتزموا تجميعهم بالإطار المكاني السابق ذكره ولا بالإطار الزماني الذي تم تحديده بنهاية القرن الثاني لعرب الأمصار، في حين منح أهل البدو من جزيرة العرب قرنين آخرين أي حتى نهاية القرن الرابع.[٥] الذي صار «ملزماً للوقوف عنده، فلقد كانت الرواية اللغوية تعتمد على السماع... وكانت هذه الدعامة تفقد قوتها كلما تقدّم الزمن فإذا وجدنا من يصطنعها بعد القرن الرابع كالزمخشري في كتاب الكشاف... كان شيئاً نادراً لا ينبغي أن نقيم عليه دراسة مطردة».[٦]

---

(١) محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، مادة (الاستشهاد).

(٢) بسام علي ربابة، الحريري وجهوده اللغوية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٥.

(٣) عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٢٣٨.

(٤) إشارة إلى قول أبي عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا» (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، د.ت، ١ / ١٧٤.

(٥) اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مادة (الاستشهاد)، ص ١١٩.

(٦) عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، دار المعارف، مصر، د.ت، ص ٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: الاستشهاد بالشعر عند علماء اللغة والأدب والمؤرخين وفي علوم الدين.

لعل ارتباط الشاهد الشعري عند علماء اللغة والأدب تجلى واضحاً في مصنفات اللغويين وخاصة منهم الأوائل مع استشهادهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بنسب قليلة ومتفاوتة من عالم لآخر. وقد ظلت الحال هكذا حتى جاء عصر تراجع فيه الاستشهاد بالشعر، لا لشيء إلا لأن الدراسات النحوية ارتبطت في البداية بالقرآن الكريم، وكانت معظمها من أجل تفسيره وتوضيحه وتبيينه فمن غير المعقول جعل آياته شواهد في تلك الفترة، إضافة إلى منع بعض العلماء الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.[1]

وإذا جاز لنا أن نتساءل عن فلسفة الاستشهاد في النحو، علينا أن نرجع إلى البدايات فعندما بدأ تدوين النحو، بسبب من تفشي اللحن، كان ثمة سليقة لا يمكن أن يطالها الخطأ، كرفع الفاعل ونصب المفعول وغيرهما ولم تكن هناك حاجة للاستشهاد عليها لوضوحها وقلة احتمال اللحن فيها، وأمّا دقائق المسائل وتفريعاتها فإنها بحاجة إلى ما يثبت أن العرب نطقت بها، ومن غير المنطقي أن يتأتى هذا من شاهد واحدٍ قاله أعرابي لحاجة جاشت في نفسه. أو بحيلةٍ احتال بها على لغوي، أو مال أراد أن يصيبه فباع كلمة أو كلمات للعلماء النهمين لكل ما يفوه به الأعراب[2]، غير شاكين بهم ولا مترددين حتى امتلأت المعاجم اللغوية بكلمات

---

(١) سكت ابن الضائع (ت ٦٨٦ هـ) وتلميذه ابن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) عن الاحتجاج بالحديث النبوي ومنعا ذلك وهاجما من يستشهد به. وابن الضائع هو: علي محمد بن يوسف الكتاني الإشبيلي وابن حيان هو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي انظر ترجمته في: محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، دار صادر، بيروت، د.ت، ٤ / ٧١-٧٩.
انظر تفصيل القضية عند خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١، ص ١٨-١٩ وما بعدها. انظر أيضاً حول قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف: عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، (مرجع سابق) الفصل الرابع: الاستشهاد بالحديث الشريف ٢٩٧-٣٢٢.

(٢) انظر: جلال الدين السيوطي (المزهر): [النوع الثامن: معرفة المصنوع، ١ / ١٧١-١٨٣، [ويحصي عدداً من الأبيات المصنوعة المستشهد بها على قضايا لغوية].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يجوز لنا أن نشك في أن إنساً تكلم بها قبل مبتدعها، إضافة إلى قضية الانتحال التي إن حاولنا استجماع شتاتها زادتنا شتاتاً وأفقدتنا ثقتنا بعلمائنا الأوائل، رغم أننا ربما التمسنا لهم عذراً لأن الأعراب الذين هم أشد فطنة كانوا يجيدون إدراك فضل ما لشاعر في شعره فينحلونه شعراً هو لصيق بشعره، حتى لا يكاد يعرف النص الأصل من الدخيل عليه، إلا بعد جهد وعناء.

لهذا كله «نستطيع أن نحصي من شواهد الشعر مادّة كثيرة ضعيفة اللغة سقيمة التركيب، وللنحاة ولعٌ بالتمسك بهذه الشواهد الضعيفة واتخاذها مادةً، أو قل إنهم بنوا القواعد النحوية عليها وهي قول شاعر اضطره الوزن أو اضطرته القافية إلى ارتكاب ما تجنبه في سائر شعره، أو ما تجنبه الناثر ولم يجر به لسان»[1]

وإنما استسلام العلماء وانقيادهم للأخذ عن «أعرابي» فكان بحجة انتمائه إلى إحدى القبائل التي تدخل ضمن الإطارين الزماني والمكاني، وقد قسم العلماء من يستشهد بكلامهم من الشعراء إلى طبقات أتى على تفصيلها البغدادي صاحب خزانة الأدب[2]، وهذه الطبقات هي:[3] «

(**الطبقة الأولى**): الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

(**الطبقة الثانية**): المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان.

(**الطبقة الثالثة**): المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

(**الطبقة الرابعة**): المولّدون، ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس».

---

(١) إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ط٢، ص ٧٠.

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب، ١ / ٥-٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرى البغدادي أن الطبقة الأولى والثانية مجمع على الاستشهاد بكلامهما، أما الثالثة فيصح، في حين لا يجوز الاستشهاد بما تكلم به أصحاب الطبقة الرابعة، إلا من كان محل ثقة منهم، وقامَ هو بدوره بالاستشهاد بشعر أبي تمام لثقته به[1] وقد كان من الاعتدال بحيث لم يُكثر النقل عنه.

وبسبب ثقة بعض العلماء بشعراء دون غيرهم يستغرب أحد الباحثين المعاصرين من أن هؤلاء الذين «قبلوا الاحتجاج بشعر أبي تمام المتوفى سنة ٢٣١هـ لم يكونوا يجيزون الاحتجاج بشعر أبي نواس المتوفى سنة ١٩٨هـ، ووجه الغرابة أنه إذا جاز الاحتجاج بشعر أبي تمام فلمَ لا يجوز بشعر الحسن بن هانئ المنتمي لزمنه والذي لا تخفى أيضاً مكانته من العلم والنظم.[2]

ويندهش باحث آخر للقيد الزمني المحدد بأواخر العصر الأموي ويتساءل: إن كان ذلك من أجل الصفاء اللغوي وضمان عدم تسرب ألفاظ أعجمية فإن هذا واقع كان قد حصل قبل الإسلام، وأن أولئك الشعراء المستشهد بشعرهم استخدموا تلك الألفاظ الأعجمية، وحتى القرآن نفسه وردت فيه من تلك الألفاظ، لكنها بوصف القرآن عربياً أصبحت عربية مع أنها ذوات أصول مختلفة أعجمية.[3]

وقد بلغ من شدة اعتناء بعض النحاة بتلك الشواهد أن أفردت لها مصنفات خاصة تجمع فيها وتشرح وتوضح[4]، منها:

---

(١) المرجع السابق، ١ / ٦-٧.

(٢) عبد الكريم الأسعد، هوامش متفرقة على أصول الاحتجاج في النحو، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، مجلد ٨، سنة ١٩٨١، ص ٣١٢.

(٣) عفيف دمشقية، المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨٥.

(٤) محمد إبراهيم عبادة، عصور الاحتجاج في النحو العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ج١، ص ١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ- شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس.[1]

ب- شرح أبيات سيبويه للسيرافي.[2]

جـ- الجمل في النحو للزجاجي[3]، المتوفى سنة ٣٤٠هـ، وقد حظي بثمانية عشر شرحاً لأبياته الشعرية منها على سبيل المثال[4]:

١- «عون الجمل» لأبي العلاء المعري ت سنة ٤٤٩هـ[5].

٢- «شرح أبيات الجمل» لابن سيدة ت سنة ٤٥٨هـ[6].

٣- «شرح أبيات الجمل» للأعلم ت سنة ٤٧٦هـ[7].

٤- «الحلل في شرح أبيات الجمل» لابن السيد البطليوسي ت ٥٢١ هـ[8].

٥- «شرح شواهد الجمل» لابن هشام النصاري ٧٦١هـ[9].

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، شرح أبيات سيبويه، تحقيق وهبة متولي عمر سالمة، مكتبة الشباب القاهرة، ١٩٨٥.

(٢) أبو محمد يوسف بن المرزبان السيرافي، شرح أبيات سيبويه، تحقيق محمد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦.

(٣) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، حققه وقدم له: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠-٣٢.

(٥) لم يصل إلينا.

(٦) لم يصل إلينا.

(٧) حقق هذا الشرح محمد محمود شعبان في جامعة الأزهر ١٩٧٢م.
(ذكر هذا الدكتور علي الحمد، محقق «الجمل»، هامش ص ٣١) والأعلم هو الشنتمري، انظر ترجمته في إنباه الرواة ٤: ٦٥-٦٧.

(٨) حققه مصطفى إمام، مطبعة الدار المصرية، مصر، ١٩٧٩، انظر ابن السيّد في: إنباه الرواة ١٤١-١٤٣.

(٩) لم يذكر الدكتور علي الحمد، هذا الشرح ضمن ما ذكره، وإنما أورده محقق «الحلل» السابق ذكره (مصطفى إمام).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا علمنا أن «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي هو كتاب لشرح شواهد «الكافية» للرضى الاستراباذي[1]، أدركنا كم كانت شواهد الشعر على درجة رفيعة من الاحترام، إذ إن الخزانة من أمهات كتب إرثنا المعرفي، عمدَ فيه البغدادي من خلال «أبياته التي استشهد بها [الاستراباذي] -وهي زهاء ألف بيت- كانت محلولة العقال، ظاهرة الإشكال، لغموض معناها، وخفاء مغزاها»[2] أقول، عمد إلى شرح الأبيات الشواهد ونسبها إلى أصحابها حيث أمكن، وبين موطن الشاهد وتخريجه ويستطرد من ثم كيف شاء، تلك الكيفية التي رفعت الكتاب إلى مصاف أمهات الكتب، بحيث يفوت القارئ أنه يقرأ شرحاً لشواهد شعرية.

والمسألة التي يجب أن نقف عليها الآن، هي مدى صلاحية الشعر للاعتماد عليه شاهداً، لغوياً؟ خاصة وأن الاعتماد على الشعر كان بشكل رئيس، ويظهر ذلك جلياً في دراسة إحصائية أجراها أحد الباحثين.[3]

ثمة في الواقع طرفان للقضية، الطرف الأول المتشهد له والثاني الشاهد، ومن المنطقي أن يكون الشاهد أقوى وعليه فإن المسألة تحتمل عنصري الضعف والقوة، ولهذا وجب أن يكون القوي (الشاهد) ممثلاً للنص الأرقى و (المستشهد له) العنصر الأضعف، لكنه يصير بقوة الشاهد إن وافقه وأثبته، هذا هو الأساس الذي سأعرض عليه كلاً من الشعر والقرآن الكريم، والحديث النبوي، بجعل كل منهم متغيراً مكان (الشاهد) مع ثبات (المستشهد له) وهو القضية اللغوية.

---

(١) الرضى الاستراباذي، الكافية في اللغة والنحو والصرف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، ص ٣.

(٣) هو عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٠ (مرجع سابق).

اسم الكتاب	شواهد الشعر	القرآن	الحديث
الكتاب - سيبويه	١٠٥٠		٢
المقتضب - المبرد	٥٦١	أقل بكثير من الشعر	
حلية المقصود - الأنباري	٨٧٤	٢٧٠	٥٢
شرح القصائد السبع - ابن الأنباري	٩٤٥	١٥٠	٣١
المحتسب - ابن جني	٩٤٠	قليل	قليل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الشعر فقد ثبت أن السلف استشهدوا به على غريب وتراكيب اللغة، ممثلة في النص الأرقى، القرآن الكريم فقد، روي عن ابن عباس أنه كان يقول: «إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[1]، بمعنى أن اللفظة الغريبة تتسم بالضعف لأن المتلقي عجز عن ربطها بالسياق التركيبي فسقط السياق من دائرة الفهم لديه، يختلف هذا الوضع عند توضيح اللفظة الغريبة بل والاستشهاد عليها بشاهد من نص قوي لا يرقى إليه الشك وفق اعتقادهم لأنه صادر عن شاعر عربي فصيح، إن الأثر الذي تركته عملية الاستشهاد على فهم المتلقي، عملية ذات أثر بالغ الأهمية في قضية الإدراك، حيث يعود المتلقي ويستبدل -ذهنياً- المعنى الجديد للفظة الغريبة مكان المعنى الأصلي «الغريب» بعد أن تأكد من فصاحته عن طريق الاستشهاد.

فإذا كان العرب -متمثلين بابن عباس- رضوا لكلام الله عز وجل في تنزيله العزيز أن يجري عليه ما يجري في الشعر، فلا شك أن له منزلة هي أرفع من منزلته اليوم، وأنهم -العرب- حاولوا أن يربطوا بين كلام الله جل وعلا وكلام الناس وخصوصاً كلام عرب ما قبل الإسلام، في حين هبطت منزلة شعراء ما بعد الإسلام في الاستشهاد وربما لم يستشهد بهم البتة، وهذا واضح في قول الأصمعي عن شيخه ابي عمرو: «جلست إليه عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي»[2]. فإن كان ذلك بسبب تسرب بعض الكلام الأعجمي إلى اللسان العربي، فهذا ما تم نفيه سابقاً.[3]

وأما التنزيل العزيز، فقد صار بعد تقعيد القواعد وإرساء الأصول، النص الأرقى للغة العربية، والأصل الأول في الاعتماد عليه بالاستشهاد على جميع المسائل، صغيرها وكبيرها، وقد «اتفق علماء اللغة على أنّ القرآن هو الأصل الأول من أصول الاستشهاد في وضع القواعد النحوية؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين... ولم يقتصر هؤلاء العلماء في الاستشهاد على النص

(١) السيوطي، المزهر، ج١، ص ٣٠٣.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص ٦، (مرجع سابق).

(٣) عفيف دمشقيه، المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، ص ٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآني الموحد، بل ضموا إليه القراءات، فإن لها قيمة لغوية خاصة، حيث إنها تحوي ثروة لغوية ضخمة لا يستغني عنها دارس العربية، ولأنها تسجل كثيراً من الظواهر اللهجية»[1].

وقد تساءل أحد الباحثين المعاصرين عن عدم اعتماد قدماء علماء العربية على القرآن الكريم بقوله لأنه «لو اعتمد النحويون على القرآن الكريم وجعلوه مصدرهم الأوّل في الاستشهاد لجاءت قواعدهم أشدّ إحكاماً، وأبعد عن الاضطراب وشواهدهم أكثر فصاحة، ولما أتعبوا أنفسهم في تأويل الشواهد وتعليلها، أو حملها على الضرورة والشّذوذ ولما امتلأت كتب النحو بالشواهد المجهولة أو الضعيفة أو المصنوعة، ولما حدث الاختلاف في نسبة الشواهد إلى قائلها، أو في روايتها، واتهام بعضهم بعضاً بتغيير رواية الشاهد أو وضعها أنّى يكون كل ذلك؟ ونص القرآن ليس فيه عوجاً! وقد كان مثل النحويين في طلب المرويات والسعي وراءها في البوادي، وتجشمهم العناء، وتركهم نص القرآن الكريم:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول»[2]

والعجيب أنه -الباحث- كان عَرَض لبدايات الاستشهاد واحتياج النحاة لأدوات غير القرآن الكريم للاعتماد عليها لتفسيره وتوضيح غامضه. ثم عادَ في خاتمة كتابه ينعى على العلماء الأوائل عدم اعتمادهم نصّ التنزيل العزيز أصلاً للاستشهاد.

وتُرك الحديث النبوي الشريف في المرتبة الأخيرة، فإن «أئمة النحو المتقدمين من المصرين لم يحتجوا بشيء منه»[3]، «ولم تنقل -الأحاديث- كما سمعت من النبي ﷺ وإنما رويت بالمعنى»[4] وإلاّ فهو عليه السلام أفصح العرب[5]. والأسباب السابقة تبناها ابن الضائع وأبو حيان

(١) محمد علي سحلول، شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٩٣، ص ٨.

(٢) عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٤٦.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب، ١ / ٩.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب، ١ / ٩.

(٥) إشارة إلى قول النبي عليه السلام: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر».

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي مردودة، لأن عدم استشهاد أوائل النحاة بالحديث الشريف لا يلزمنا ترك الاستشهاد، فإنهم بشر، وأما أن نقله تم بالمعنى، فإن أولئك الذين نقلوه داخلين في عصر الاحتجاج ولا يرد كلامهم.[1]

ومع ذلك فقد ظلت نسبة الاستشهاد بالحديث قليلة قياساً إلى الشعر والقرآن الكريم، ذلك أنه ليست للحديث أية خصوصية لغوية تميزه فيما عدا القليل، وربما رجع ذلك إلى عملية نقل بعضه بالمعنى التي أفقدته بعضاً من بلاغة تراكيبه.

أما عند المؤرخين فنبدأ من تشكيل الأحداث التاريخية العربية المدونة جزءاً غير قليل من الإرث المعرفي، ابتداء من مدونة محمد بن إسحق بن يسار[2] المعروفة «بسيرة ابن اسحق» التي كتب فيها من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء، فضلاً عن أشعار الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ.[3]

ففي مدونة الطبري، محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ) انسرب الشعر وأخذ مكانه وإن لم يكن على شكل الاستشهاد بمعناه العلمي الدقيق، فقد أورد في تاريخه المسمى «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك»[4] أشعاراً كثيرة منها ما يتصل بسند موثوق ومنها ما يضع القارئ في حيرة من أمره، فحين يروي حكاية قتل ابن آدم لأخيه، يذكر الشعر الذي قاله آدم يبكي ابنه، وترتفع الحكاية مع الأبيات بسند إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه،

---

(١) البغدادي، الخزانة، ١ / ٩.

(٢) هو محمد بن اسحق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد المناف.

(٣) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، د.ت، ١ /٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط٢، د.ت.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فيتركنا الطبري إزاء هذه الرواية في دهشة أمام الثقة بعلي واستحالة حصول التصديق لبعد الزمن بين آدم وعلي، ومن تلك الأبيات (وهي واضحة الإقواء):[1]

تَغَيَّرتِ البلادُ ومَنْ عَلَيها فَوَجْهُ الأرضِ مُغْبرٌّ قَبيحُ

تَغَيَّرَ كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقلّ بَشَاشَةُ الوجهِ المليحِ

فأجيب آدم عليه السلام:

أبا هابيلَ قد قُتِلا جميعاً وصارَ الحيُّ كالميتِ الذبيحِ

وجاء بِشِرّةٍ قد كان منها على خَوفٍ فجاء بها يصيحُ

ولكن الطبري نفسه كان حذراً من البداية فقد أشار إلى إمكانية تسرب الجانب الأسطوري أو الجانب الذي لا يوثق به منذ المقدمة عندما قسم «الرواة إلى صنفين: صنف يمكن الاطمئنان إليه والرضى عما يرويه وصنف ثان يعتري متقبل نصه الشك والريبة»[2]. وقد تصدى محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء لهذه القضية بالذات -وجود بعض ما لا يمكن قبوله بالعقل- خاصة في السير التي كان يرويها محمد بن اسحق بن يسار الذي لم يعن نفسه أن يتساءل من حمل تلك الأشعار فأداها منذ آلاف السنين.[3]

ويستند ابن سلام في بعض آرائه إلى قول أبي عمرو بن العلاء «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه؟»[4]. حتى إن ابن كثير وهو متأخر (ت ٧٧٤هـ) امتلأت مدونته «البداية

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (مرجع سابق) ١ /١٤٥.

(٢) حمادي المسعودي، التاريخ والزمن والأسطورة في مدوّنة الطبري التاريخية، الفكر العربي المعاصر، عدد ٨٨-٨٩، ١٩٩١، بيروت، ص ٨٦.

(٣) محمد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ١ / ٨.

(٤) طبقات فحول الشعراء، ص ١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنهاية»[1] بالأشعار ومنها لبعض الحميريين يفتخر بأن ذا القرنين كان أحد جدودوهم يقول:[2]

قد كان ذو القرنين جَدّي مُسْلماً ... ملكاً تدين له الملوك وتخشُدُ

بلغ المشارقَ والمغاربَ يبتغي ... أسبابَ أمرٍ من حكيم مرشدِ

فرأى مغيبَ الشمس عندَ غروبها ... في عين ذي خُلب وثَاطٍ حرمدِ

من بعده بلقيسُ كانت عَمّتي ... مَلَكَتْهمُ حتى أتاها الهدهدُ

وكما قال ابن سلام، ليس بشعر وإنما هو كلام معقود بقوافٍ وهنا قوافٍ متداعية والحكاية ليست لها سند أسبقها ابن كثير بقوله (وقد جاء في حديث أنه...) وهذه العبارة المطلقة تمثل درجة دنيا من الثقة. وأما تُبّع[3] البائد فقد قال شعراً حين أخبر، حبران عن أمر الرسول ﷺ وتستند الحكاية إلى السهيلي يقول تُبع:[4]

شهدتُ على أحمدَ أنه ... رسولٌ من الله باري النّسَم

فإن مُدَّ عُمري إلى عُمرِه ... لكُنتُ وزيراً له وابنَ عمّ

وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرّجتُ عن صَدْرِه كل همّ

فإن كان ابن كثير قد اطمأن إلى رواية السهيلي، فلا يحملنا ذلك على تصديق رواية كل منهما، ولا أن نعتقد بوجود (تبّع) أصلاً، ولو لم يكن للشعر مكانته المعروفة لما اضطر ابن كثير أو غيره أن يورد أشعاراً لحمير ولا لمن بادَ من العرب، رغم وضوح ركاكة ذلك الشعر وضعفه، وقصوره عن أن تكون له أدنى درجة جمالية، ذلك أن الشعر اطلع بدور كبير ومهم يمثل قمة المصداقية عند القدماء -وكأن الكلام حين يعقد بقوافٍ تسمو درجته ويرتفع إلى الثقة.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم ومجموعة من المحققين غيره، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

(٢) البداية والنهاية، ج١، ص ٩٦.

(٣) تبع أبي كرب، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ١٥٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ١٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي علوم الدين تجلى الاستشهاد أكثر ما تجلى في كتب التفسر والسيرة النبوية، أما التفسير فلأنه يتطلب العلم بالقضايا اللغوية، وأما السيرة فلأن الشعر اعتبر شاهداً على أحداث العصر وقد ألمحت لسيرة ابن اسحق عند حديثي عن المؤرخين.

فإذا عدنا إلى أوائل المفسرين كابن عباس وجدناه اشتهر برجوعه للشعر العربي القديم، فكان حين يُسأل فيه يُنشد الشعر[١]، وربما كانت اشتهرت أكثر ما اشتهرت مسائل نافع بن الأزرق[٢] التي سألها ابن عباس، وقد أورد السيوطي الكثير من المسائل ختمها بقوله: «هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق، وقد حذفت منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً أسئلة مشهورة، وأخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس»[٣]. ولكن المسائل في معظمها كانت لشرح مفردات قرآنية غريبة، ولم أجد منها ما يتعلق بالتراكيب.

وقد نحا ابن عباس هذا المنحى لأن السائل -كابن الأزرق- كان يطلب الشعر، حتى لو لم يطلب، فقد كان الشعر البنية الثقافية الأرقى، التي دلت على قوّة ابن عباس المعرفية بلغة العرب، «وإلمامه بغريبها إلى حدٍ لم يصل إليه غيره مما جعله -بحق- إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر الذي وجد فيه».[٤]

وقد اتخذت المسائل التي أوردها السيوطي نهجاً واحداً آثر أن يسوقها بتمامها لتستفاد[٥]، حيث ابتدأها نافع بن الأزرق حين «قال لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان

---

(١) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧، ج٢، ص ٥٥.

(٢) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، الحروري، خارجي ينسب إليه الأزارقة.

(٣) السيوطي، الإتقان، ٢ / ٨٨.

(٤) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦، ط٢، ج١، ص٧٥.

(٥) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما»[1] ويبدأ نافع فيقول: أخبرني عن قوله تعالى ويذكر الآية، فيجيب ابن عباس عن المعنى، فيسأل نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ فيجيب ابن عباس: أما سمعت قول فلان يقصد الشاعر، وينشد البيت.

إنّ الكلام السابق يوضح مكانة الشعر، الذي كان أساس المسائل كلها بل وفيها ابتدأ وانتهى، فالحوار في كل مسألة يتوقف على ما إذا كانت العرب تعرف المعنى أم لا، فإذا عرفته -وهذا ما حصل- انتهت المسألة بغلبة ابن عباس على نافع، فحين ينشد ابن عباس البيت، يسكت الجميع، لأن الشعر -قول العرب- يقطع بأن المعنى صحيح، فالقرآن لسانه عربي. وهكذا اتسع التفسير بالرأي، وأخذ شكلاً مدرسياً على يد عبد الله بن عباس رضي الله عنه، حيث ثبت عنه تفسير لنصوص قرآنية بالمدلول اللغوي مستشهداً على صحة تفسيره بمشابهة مدلول الكلمة في الشعر العربي القديم.[2]

ولكن المسائل في معظمها كانت لشرح مفردات غمض معناها اصطلح على تسميتها بغريب القرآن، وألفت فيها العديد من الكتب حاول أن يحصيها ابن النديم في الفهرست منها: «كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة، وكتاب غريب القرآن لمؤرج السدوسي، وكتاب غريب القرآن لابن قتيبة، وكتاب غريب القرآن لأبي عبد الرحمن اليزيدي، وكتاب غريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي، وكتاب غريب القرآن لأبي جعفر بن رستم الطبري، وكتاب غريب القرآن لأبي عبيد القاسم وغيرها.[3]

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص ٥٦.

(٢) مساعد مسلم آل جعفر، أثر التطور الفكري في العصر العباسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩٣.

(٣) ابن النديم، الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥٤-٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: الشعرية بين الخصوصية الفنية والعمومية الدلالية

تعد الشعرية في الإرث العربي قضية ذات مسارب منشعبة ومتباينة في نفس الوقت، حيث أتاحت من خلال حكاية «وادي عبقر» للامعقول أن يتسرب، ويثبت وجوده في الفكر العربي القديم، وهي ذاتها قضية (جن الشعراء)، التي اتخذت لها مكاناً بين العامة وعند الشعراء أنفسهم، هذا اللامعقول أو الغيبي يفتح الشعر كنص لغوي على الكثير الذي لا يحصى من العوالم، تتعدد بتعدد النصوص.

والغريب أن الفجوة الزمنية بين «جنون الشاعر» وهو ما أخبر عنه القرآن في غير آية، وبين الاعتماد على بضاعته -الشعر- لم تكن فجوة واسعة إذ استخدم لتفسير ما يستغلق من معانٍ وتراكيب قرآنية، هذه الفجوة لا يمكن التعبير عنها بالتطور السوسيولغوي لأن المدة الزمنية غير كافية لحصوله، بل إن ابن عباس -كما سبق أن ذكرنا- الأكثر قرباً من آيات التنزيل تجاوز سلبية الشعراء ووقفٌ في بيت الله يجيب سائليه عن القرآن شعراً، مما يدل على أن الآيات التي نزلت تدين الشعر، إنما تدين الفاسد منه، وهي قضية موضوعية لا فنية، وعلى الأخص تدين الشعر الموجه ضد الرسالة المحمدية، إذ لو كانت الموضوعات الفاسدة مدانة بحد ذاتها، فإن شعر عرب ما قبل الإسلام مليء بها، لهذا استنكر بعضهم احتجاج العلماء بشعرهم الذي في موضوعاتهم الكفر، وتركوا شعر المسلمين العف.

وقد وصل الشعر إلى درجة صار فيها غيابه شاهداً على قضية معرفية معينة يكاد يبطلها، كما مر في مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، أو في كتب اللغة التي قد يجد المصنف نفسه مضطراً أحياناً لأن يصنع شعراً شاهداً، إن الذي يحدو المصنف لصناعة الشعر حتى يتم له مراده هو بعينه ما يجب أن يوقف عليه «الشعرية».

إن مساحة الاحتواء الشعري بما يكتنزه من إيحاءات وما يشعه من ظلال ودلالات تشي بامتلائه حد الفيض بكل المعارف التي استشهد به عليها، هذه الحقيقة تم استيعابها عند العرب القدماء بشكل دقيق، فجاءت مصنفاتهم ومدوناتهم وكتاباتهم طافحة بالشعرية وإلا فبالشعر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وربما كانت فجائعية الشعرية ووقوفها على حد المتخيل البشري عادت إلى ما قبل الميلاد عند غير العرب، واستمدت قوتها على التدفق بهذا الشكل المذهل من خلال المتلقين عبر اختلاف العصور وتنوع الحضارات، فالقضية من زاوية التلقي تبرهن بأشكال عدة على ثبات الشعرية وتألقها إذ إن مادتها بما تحويه من تنوع وزخم معرفيين وجدت طريقها إلى شتى المستويات الثقافية، وهذا ما لمسناه في المباحث السابقة.

ولن نتبين دور هذا الشعر إلاّ من خلال محاولة معرفة حقيقته، كتلك التي قام بها أرسطو حيث ابتدأ من الألفاظ حين رأى أنها «لا تخلو من أن تكون:إما دالّة، وإمّا غير دالة، والألفاظ الدالة: منها ما هي مفردة ومنها ما هي مركبة، والمركبة منها ما هي أقاويل ومنها ما هي غير أقاويل، والأقاويل منها ما هي جازمة ومنها غير جازمة، والجازمة: منها ما هي صادقة، ومنها ما هي كاذبة، والكاذبة: منها ما يوقع في ذهن السامعين الشيء المعبّر عنه بدل القول ومنها ما يوقع فيه المحاكي للشيء وهذه هي الأقاويل الشعريّة».[1]

فالشعر إذن: [مجموعة من الألفاظ الدالة المركبة القائلة الجازمة الكاذبة المحاكية] ولا يخرج هذا الكلام عن المفهوم المعاصر للشعر، فمجمل «النظريات الشعرية المعروفة حتى الآن ترتكز على فرضية مشتركة، فهي تختلف منذ أقدم العصور تبعاً لتركيزها على المحتوى أو الشكل لكنها في الحالتين تلتقي حول ملمح أساسي يتمثل في مقابلة الشعر للاشعر أو (النثر) وهو معيار كمي محض، فالشعر ليس «شيئاً آخر» غير النثر».[2]

وربما كانت المعادلة الأكثر وضوحاً في تحديد الشعر هي تلك التي وضعها بارت:

«الشعر = النثر + أ + ب + جـ»[3].

---

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ص ١٥٠.

(٢) جون كوين، النظرية الشعرية؛ مقدمة في اللغة العليا، ترجمة أحمد درويش، مجلة إبداع، القاهرة، عدد ١٠، سنة ١٩٩٥، ص ٨٩ .

(٣) رولان بارت، الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة محمد برادة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص ٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أي أن النثر جزء من مكونات الشعر بالإضافة إلى عناصر أخرى متنوعة كالوزن، والقافية، والصور وغيرها، ولكن الشعرية «تقع في النثر وتتجلى في الشعر على أشدها»[1] فالشعرية إذن تكمن في أ أو ب أو جـ أو مجموعها، إذا اعتبرنا النثر نثراً غير فني.

وما يهمنا الآن هو محاولة تفهم وضع اللغويين العرب القدماء، الذي جعلهم ينهلون من معين الشعر ويقعّدون عليه القواعد، دونما استقراء شامل «ولغة الشعر خاصة يرتكب فيها الشاعر ما يرتكب ليتمّ له الوزن، وليدخل في عدة من الألفاظ ينتظمها بيت واحد قولاً ذا فائدة أو فكرة معينة، ومن أجل هذا فإن لغة الشعر ليست اللغة القويمة السهلة الواضحة التي نجدها في النثر»[2] فعلى مستوى الكلمة المفردة قد تكتسب داخل السياق الشعري دلالة مغايرة لما هي عليه في حالة الإفراد ونحن لا يغيب عن بالنا أن «قدر الشاعر محكوم بالعمل على ملاحقة ما لم يُنجز بعد، وبالتالي فهو يسهم في رفد النظام اللغوي بطاقات جديدة في التعبير»[3]، هذا عدا عن التراكيب الجديدة التي يتجرأ الشاعر على ابتداعها.

فإن كان الشعر المستشهد به يوافق تماماً كلام الناس جاز الاستشهاد به، ولكنه لم يكن كذلك البتة، إنه لغة عليا، تنهض بالكلام إلى التجاوز و «التخطي الدائم للمتحقق المنجز من العدولات»[4] فكل شاعر مطالب بتجاوز الأسبقين حتى يُعد في الشعراء، لأن «المبدع الحق هو الذي يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جمالياً بما يتجاوز إطار المألوفات، وبما يجعل التنبؤ بالذي سيسلكه أمراً غير ممكن».[5]

---

(١) محمد لطفي اليوسفي، الشعر والشعرية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢، ص ٤٧.

(٢) إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيتُه، ص ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٥) أحمد محمد ويس، الانزياح والاستعارة والانحرافات، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، عدد ٢٧، مجلد ٧، ١٩٩٦، ص ٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن هنا كانت قضية تحديد الإطار الزماني في الاستشهاد، فكلما تقدّم الزمن زادت التجاوزات، مما حدا بالعلماء إلى الوقوف بالاستشهاد عند حد معين. وأما انسراب بعض الشعر إلى المدونات التاريخية فإنه من باب اعتبار الشعر حجة وبرهاناً على وقائع خاصة، ولم يلتفت الكثير من المؤرخين إلى أن العديد من الأبيات تناقلتها العامة دونما سندٍ من جهة، وتميل معظمها إلى كونها نظماً لا شعراً من الجهة الأخرى، ومن المحتمل أن تكون الأشعار في تلك المدونات من باب كسر رتابة السرد.

ومن المعروف أن اللغة الشعرية، لغة خاصة لا تؤدي فيها الكلمات المدلولات المعتادة، فهي -لغة الشعر- لا تعبر عن علاقة موضوعية بالأشياء، بل عن علاقة ذاتية.[1] هذه العلاقة الذاتية تحمل أعلى درجات الخصوصية التخييلية التي يجرد الشاعر الكلمات -اللغة- من الكثير مما تحمل من دلالات ويكسبها عبر إدماجها في السياقات التي يريد دلالات جديدة ذات رحابة أكبر في التعبير.

لهذا يصعب أن يتخذ الشعر شاهداً على حادثة حقيقية لأنه حينها يخلو من أي إبداع ويتجرد من التخييل، أحد أهم عناصر الشعر «الذي يجعل الخطاب ينزع نحو الغرابة وما تنبني عليه من تعتيم قد يصل إلى حد الإغماض»[2] ولكن المؤرخين لم يجدوا بداً من استخدام بعض الأبيات بين الحين والأخر، وكثيراً ما جاءت الأبيات على شكل مقطوعات أو قصائد كاملة.

وأما استخدام الشعر بشكل واضح في تفسير القرآن الكريم فهي القضية المشكلة في هذا البحث إذ اضطر ابن عباس -مثلاً- إلى معالجة النص القرآني وهو كلام الله جل وعلا بالشعر، البنية اللغوية الأكثر تجاوزاً وعدولاً عن لغة الكلام العادي، هذه المعالجة هي الاستشهاد، وقد أسلفت أن العلاقة بين المستشهد به والمستشهد له هي علاقة اعتماد كلي،

---

(١) أدونيس، الثابت والمتحول، دار الساقي، بيروت، ط٧، ١٩٩٤، ج١، ص ١٥٤.

(٢) اليوسفي، الشعر والشعرية، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعلاقة تحتمل الضعف والقوة ولم أجد لقدماء النحاة والمفسرين مخرجاً لتبرير هذا التساهل في وضعهم آيات التنزيل العزيز مقابل كلام البشر في بنيته الأكثر انحرافاً وعدولاً أي الشعر إلا أن نجعل العلاقة بينهما علاقة توازٍ تؤدي إلى إزالة الخفاء وتجلية النص القرآني لينفتح على ما فيه من رقي وسموّ ليغدو كلام البشر -الشعر- مجرد وسيلة يُتوصل بها إلى سمو كلام الله، فيصير القرآن عندها البنية اللغوية الأكثر إعجازاً والتي تصلح للاستشهاد بها على القضايا اللغوية، ولهذا ارتفعت نسبة الاستشهاد بالقرآن الكريم في عصور ما بعد التقعيد.

إن القول باحتياج القرآن الكريم لأدوات خارجية لغويةٍ وغيرها يشير من جهة إلى إعجازه ومن الجهة الأخرى إلى عدم تمكن جميع فئات المجتمع العربي حين نزوله من استيعابه وتفهم مقاصده مع العلم بأن الفهم درجة من درجات الاستيعاب، الذي يؤدي -في حالة القرآن الكريم- إلى وجه من أوجه الإعجاز «ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في الحال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه»[1].

وهذا لا يتم بحالٍ إلاّ إذا اكتملت لدى قارئ القرآن أدوات الفهم وانفتحت له مغالق التراكيب التي استطاع قدماء علماء العربية وغيرهم تجاوزها عن طريق استشهادهم بالشعر العربي القديم.

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، رسالة الخطابي (بيان إعجاز القرآن) تحقيق وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع: مدى التزام علماء العربية بالمفهوم العام للاستشهاد وبخاصة الإمام الزمخشري

«التراث الشعري العربي هو كتراث الوحي، قديم، هذا يعني أولاً أن الكمال الأقصى قد تحقّق في هذا التراث مرة واحدة، وإلى الأبد، وهذا يعني ثانياً، أنّ الكمال وراء الشاعر لا أمامه، أي في الماضي وليس في الحاضر ولا المستقبل، ويعني ثالثاً نفي التجديد أو نفي إمكانه أصلاً».[1]

هكذا يرى أدونيس التراث الشعري، وهكذا رآه من قبل عدد كبير من العلماء، شكّل الغالبية العظمى، حيث مال بعضهم إلى تجاوز قضية القدم والحداثة، ولأن الاطّراد هو الأشيع، أرى أن أُعرض عنه إلى المتجاوزين لتوضيح حججهم ومدى قابليتها للتصديق والإقناع، فها هو ابن قتيبة في كتابه المعروف، الشعر والشعراء يقول: «ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعرٍ مختاراً له سبيل من استحسن باستحسان غيره، ولا نظرتُ إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر (منهم) بعينِ الإحتقار لتأخره، بل نظرت بعينِ العدلِ على الفريقين، وأعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقه.

فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيّره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيبَ له عنده. إلا أنه قيلَ في زمانه، أو أنه رأى قائله».[2]

---

(١) أدونيس، الثابت والمتحول، دار الساقي، ص ٦٤.

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، د.ت، ٦٢/١-٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإن كان كلام ابن قتيبة السابق لا يختص بالاستشهاد على وجه التحديد، إلاّ أنه يلامسُ صميم قضية القدم والحداثة، التي هي أساس قضية الاستشهاد، فابن قتيبة يستنكر على الذين سبقوه من العلماء ضيق الأفق وعدم الثقة بالمعاصر وعدم استيعابهم لحقيقتة أن الله لم يقصر «العلم والشعر والبلاغة على زمنٍ دون زمن»[1]، لذلك نهج ابن قتيبة نفسه نهجاً مغايراً للمألوف حيث أهمَلَ الزمن وأسقط النسب فلم يروِ لقبيلةٍ دون غيرها أو لأهلِ بلدةٍ تاركاً الأخرى وإنما استحسن فانتقى واعتمد ذائقته فاختار.

إن النقاد العرب القدماء احتفوا بالشعر أيما احتفاء وأضفوا عليه قدسية خاصة فسرّها ابن شيق القيرواني بقوله «وليس ذلك لشيٍ إلاّ لحاجتهم [العلماء] في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون».[2]

وقد أقام ابن رشيق مفاضلته بين الشعراء على (المعنى) فامرؤ القيس مثلاً أفضل من غيره لأن الشعراء استحسنوا بعض معانيه فحاكوها، حيث كان أول من وقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبّه الخيل بالعقبان وغيرها.[3]

وأمّا ابن جني فقد كان «صاحب آراء واتجاهات يُبدي فيها مرونةً واضحةً أمام القيد الزمني»[4] فقد عَرَضَ لأبي تمام، والبحتري والمتنبي «وكأنه يبحث عن مخرجٍ من القيد الزمني ليحتج بأشعارهم، ومع تسليمه للقدامى، فإنه كان يرى لهؤلاء المحدثين وجهاً يبرر الاحتجاج بهم»[5].

---

(١) الشعر والشعراء، ٦٣/١.

(٢) السيوطي، المزهر، ٤٨٨/٢.

(٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، د.ت، ٩٤/١.

(٤) عبد الحميد الشلقاني، مصادر اللغة، عمادة شئون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٨٠، ص ١٣٥.

(٥) المرجع السابق، ١٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان سبق ابن جني إلى مثل رأيه المبرد، حين احتج ببعض شعرِ أبي تمّام في المعاني لا الألفاظ وهو- المبّرد-، على حد قول ابن جني «الكثير التعقيب لجلّة الناس»[1] ولهذا جوّزَ لنفسِهِ الاحتجاج بشعرهم.

على أن بعض النقاد واللغويين لم يكونوا بمثل الجرأة التي كان عليها ابن قتيبة وابن رشيق وأضرابهما، وظلوا ينسبون قمة الفصاحة للقدماء حتى وقتٍ متأخر، فالرّماني يجيب من يسأل عن الاعتماد في الاحتجاج على القدماء دون المولّدين «مع أنه يوجد للمولدين من الكلام البليغ شيء كثير؟ قيل: لأنّ العرب كانت تقيمُ الأوزان والإعراب بالطباع وليس في المولدين من يُقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان، والعرب على البلاغة أقدر لما بينا من فطنتهم لما لا يفطن له المولدون من إقامة الإعراب بالطباع فإذا عجزوا عن ذلك فالمولدون عنه أعجز».[2]

يتبين لنا من النص السابق، مدى الحدّة التي تسمُ طابع الرّمّاني في تعبيره عن تفوّق القدماء على المحدثين مع أن صيغة القطع التي وصف بها الرّمانيّ عدم إتيان المولدين إقامة الإعراب بالطباع غير قاطعة عندنا وعند غيره من العلماء، إذ ليس من المعقول تجاهل تفوق الكثير من الشعراء المولدين على سابقيهم، فليس كل عربي قديمٍ قادراً على إقامة الأوزان والإعراب بالطباع وإلاّ لعددنا اليومَ من الشعراء آلاف ما أحصى العلماء.

ويذهب الخطّابي في تمجيد القدماء وانقطاع رجائِهِ من المولدين مذهب الرّمّاني وذلك في ردّهِ على تعليق أبي عمرو على قول الشاعر الجاهلي الحارث بن حلّزة، بيتاً من أبياته: «ذهب من يُحسن هذا الكلام»[3] أنه -الخطابي- قال: «ولهذا صار العلماء لا يحتجون بشعر المحدثين، ولا يشتشهدون به كبشار بن برد والحسن بن هانئ ودعبل والعتابي وأحزابهم من فصحاء الشعراء والمتقدمين في صنعة الشعر ونجره، وإنما يرجعون في الاستشهاد إلى شعراء

---

(١) ابن جني، الخصائص ١/٣٤.

(٢) الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (مرجع سابق)، ص ١٠٤.

(٣) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (مرجع سابق)، ص ٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجاهلية وإلى المخضرمين، وذلك لعلمهم بما دخل الكلام في الزمان المتأخر من الخلل والاستحالة عن رسمه الأول».[1]

فالخطابي في قوله السابق لا ينكر على المحدثين فصاحتهم وتقدمهم في صنعة الشعر، بل يحفظ لهم إتقانهم وتجويدهم وإنما اعتراضه على الاستشهاد بكلامهم فلأنهم أتوا بالتراكيب الجديدة وولدوا من خلالها معاني قد تستحيل على فهم معاصريهم، ولهذا لم يُستشهد بكلامهم، فالمعاني التي أتوا بها، غايرت في بعض الأحيان المعاني القديمة وهذا متوقع، أما من أدرك هذه الحقيقة «وتبحّر في كلام العرب وعرف أساليبه الواسعة ووقف على مذاهبه، فإنه إذا ورد عليه منها ما يخالف المعهود من لغة أهل زمانه لم يُسرع إلى التنكير فيه والتلحين»[2].

وذلك أن من عرف الفرق بين لغة الكلام العادي ولغة الشعر وغيرها وفرّق بين المقامات التي يقال فيها الكلام، كان أعرف بانحرافات اللغة وبدلاً من اعتبار الصيغة العليا -شعرية كانت أم غيرها- صيغة ملحونة اعتبرها متفوّقة وفي هذا قال ابن الخطاب: «أنحى الناس من لم يلحن أحداً».[3]

ونحن بإزاء الأمثلة السابقة التي كشفت عن وجهة نظر بعض المتجاوزين للقيد الزمني وبعض الملتزمين به، نرى أن اللغة -عربية وغيرها- تتطوّر، ولا تقف عند حدٍ، سواءً على مستوى المفردات أم التراكيب، وهذه حقيقة لا يشوبها شيء وأكثر ما يثير العجب تلك المناظرات التي فاقت مسائل الفلاسفة في تجاوزها للمقبول والمتصوّر، والتي لم يكن لها أدنى ضرورة علمية أو فائدة، فلا هي حافظت على اللغة العربية وحدّت من دخول الغريب، ولا هي منعت الناطقين من استحداث تراكيب تعبّر عن مرادهم، حتى إن مجامع اللغة العربية ما زالت لليوم تضيف مفرداتٍ جديدة. معربة أو منحوتة أو أجرت العامة عليها بعض التعديلات الصوتية،

---

(١) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص ٤٢.

(٢) الخطّابي، بيان إعجاز القرآن ص ٤٢-٤٣.

(٣) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص ٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعلّ تجاوز عالمٍ من العلماء ما يسير عليه جمهورهم يُعدّ عملاً ذا بالٍ، ويحتاج من الجرأة ما يضطره للوقوف بوجه مجموعةٍ من العلماء وغير العلماء، وربما ألّب على نفسه من كان في مُتَسَرٍّ منهم، وقد وعى هذه المسألة كل مَنْ جاء بالجديد والمتخطي والمتجاوز.

ولم يكن الزمخشري من أوائل الخارجين على الإطار الزماني في الاستشهاد، ولكنه أصرّ على تجويز الاحتجاج بالمتأخرين، حيث كان أول[1] من استخدم عبارة (ما يقوله بمنزلة ما يرويه) حين استشهد ببيتٍ لأبي تمام، وتابع قوله: «وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء، الدليل عليه بيتُ الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»[2] والزمخشري هنا يسعى بصراحة إلى اعتبار أبي تمام الراوي الحاذق والمنتقي المتذوق لشعر العرب أتى في شعره مثل ما أتى به القدماء وأنّ تلقيه للشعر العربي أثر في تكوينه الثقافي، فجاز من هنا أن يستشهد بشعره المحاكي للقدماء، وحتى لو افترضنا أن أبا تمام لم يرو تلك الحماسة وأنه قال ما قال من شعره، أفلا كان اقتنع علماء العربية بأبي تمام «عربياً»!

وقد كان لمخالفة الزمخشري الجمهور أثر في «تحريك الآراء حول الفكرة بين مؤيد ومخالف، وقد انحصرت وجهتا النظر وفروعها حول ما إذا كان اتقان «الرواية» يستلزم اتقان «الدراية» ويترتب على ذلك الثقة بما يأتي عن صاحبها من أقوال فتجعل حجة على مسائل اللغة المميزة إذ تعود الأولى للحفظ والإتقان بينما ترجع الثانية إلى معرفة أوضاع اللغة العربية وطريقة الكلام وهي بذلك ملكة صناعية لا يعتد بها في الاستشهاد، فهي عرضة للزلل!! بخلاف العرب الخلّص، فإنهم أصحاب ملكة أصيلة وطبعٍ نقيّ، ولذا صح الاستشهاد والاحتجاجُ بنطقهم، فإتقان الرواية غير إتقان الدراية، وهذا غير ذاك!!».[3]

---

(١) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث. عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨، ص ١٣٠

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١/٢٢٠.

(٣) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ١٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكأنّ صاحب الرأي السابق يظن بالزمخشري جهلاً أو غفلاً عن القضية وفروعها، صغيرها وكبيرها، ولم يكن في الواقع كذلك، وإذا عدنا إلى صريح قوله الذي علق به على بيت أبي تمام، فإنه يتعجب للعلماء مالهم يقتنعون ويشقون بما يروبه ولا يقبلون ما يقول؟ إنّ الزمخشري يؤكد ارتباط الرواية بالدراية، وهذا أيضاً ما يؤكده الواقع الشعري القديم، حيث يلزمُ الشاعر الناشئ أن يكون راوية لشاعرٍ كبير حتى يثقف الصناعة الشعرية جيداً. فكيف بأبي تمّام يروي لشعراء كبار لا لواحد؟ فضلاً عن أنه شاعر كبير؟ وإننا إذ نقف أمام عبارة الزمخشري: «أجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه»، لا ننظر إليها بإطلاقها، لكن مقيدةً بحالة أبي تمام.

ولم يكتفِ الزمخشري بأبي تمام، فقد استشهد بالعديد من الشعراء المحدثين، مما جعل علماء عصرهِ يقابلون صيحتهُ باعتراضات أهمها أن «قبول الرواية قائمٌ على الضبط، والقول قائمٌ على معرفة أوضاعِ اللغة والإحاطة بقوانينها... وكذلك لو فتح هذا الباب للزم الاستدلال بكل ما وقع في كلام المحدثين».[1]

أما أنّ الزمخشري استشهد بأبي تمام وأبي الطيب المتنبي والمعريّ وأبي نواس والبحتري وأبي العتاهية والجاحظ وابن المعتز وابن الرومي وغيرهم، فإنه لم ينسبها كلّها لأصحابها، وليست هذه بالمسألة الهامة حيث كان كثير من النحاة يفعلون ذلك[2]، «فعدم نسبة الشواهد، إلى قائليها طريقة سار عليها النحاة على اختلاف مذاهبهم النحوية وأماكنهم وأزمنتهم، فليس غريباً أن نجد كثيراً من الشواهد التي يتداولها النحاة في كتبهم ويستشهدون بها دون أن يعرف من قائلها ولمن هي».[3]

---

(١) عصور الاحتجاج في النحو العربي، (مرجع سابق)، ص ٢٠١.

(٢) في دراسة إحصائية قام بها عبد الجبار النايلة في كتابه: الشواهد والاستشهاد في النحو قارن بين الزمخشري وابن هشام وابن عقيل، ووجد أن عدد الشواهد المنسوبة في مفصل الزمخشري ١٦٠ شاهداً من بين ٤٤٨، وابن هشام في قطر الندى ١٧ من بين ١٥٠ وابن عقيل نَسبَ ٤ شواهد من بين ٣٥٩، ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) المرجع السابق، ١٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكنّ اللافت للنظر أنّ الزمخشري نَسَبَ الشواهد الخارجة عن عصر الاحتجاج، في حين أقل من نسبة الشواهد الجاهلية والإسلامية، مما يشير إلى إصراره على التجاوز والتخطي.ولم يلتفت كثيراً إلى منع أو تجويز العلماء الاستشهاد بالمحدثين، ولا اهتم كذلك بنسبة الشواهد إلى أصحابها على خلاف من نسب وشدّد ولم يذكر البيت كاملاً في بعض الأحيان. ولن يتضح المفهوم العام للاستشهاد عنده إلا من خلال الفصل التالي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

شواهد الأساليب التركيبية في «الكشاف» دراسة نقديّة

المبحث الأول : الزمخشري وكتابه الكشاف.

المبحث الثاني: شواهد الأساليب التركيبية.

المبحث الثالث: مفهوم الأساليب التركيبية.

المبحث الرابع: شواهد الأساليب التركيبية النحوية:

المطلب الأول- العطف

المطلب الثاني- النعت

المطلب الثالث- الإستثناء

المطلب الرابع- القسم

المطلب الخامس- البدل

المطلب السادس- التوكيد

المطلب السابع- الاستفهام

المطلب الثامن- التعريف والتنكير

المطلب التاسع- التعجب

خامساً: شواهد الأساليب التركيبية النحوية ذات الدلالات البلاغية

المطلب الأول- الحذف

المطلب الثاني- معاني الحروف

المطلب الثالث- التقديم والتاخير

سادساً: الأساليب البلاغية

المطلب الأول- الاستعارة

المطلب الثاني- التشبيه

المطلب الثالث- الإشارة إلى المؤنث بالمذكر

المطلب الرابع- الالتفات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: الزمخشري وكتابه الكشاف

هو أبو القاسم جار الله[١] محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي[٢]، ولد بزمخشر يوم السابع والعشرين من رجب سنة سبعٍ وستين وأربعمائة[٣]، وكان فَقَدَ -رحمه الله- إحدى رجليه فكان يمشي على جاون خشب[٤]، واختلفت الآراء في تفسير سبب فقده لها، فيذكر ياقوت الحموي أنه «أصابه خرّاج في رجله فقطعها، واتخذ رجلاً من خشب، وقيل أن الدامغانيّ المتكلم الفقيه سأله عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني أمسكت عصفوراً وأنا صبي صغير، وربطت برجله خيطاً فأفلت من يدي ودخل خرقاً فجذبته فانقطعت رجله، فتألمت له والدتي وقالت، قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما رحلتُ إلى بخارى في طلب العلم، سقطت عن الدابة في أثناء الطريق فانكسرت رجلي وأصابني من الألم ما أوجب قطعها».[٥]

وكان حبه العلم وطلبه التزيد منه يحثانه على الارتحال، فرحل وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره[٦]، وطاف البلاد وجاور مكة[٧] حتى لقّب جار الله.

وكان الزمخشري «يظهر مذهب الاعتزال ويصرّح بذلك في تفسيره»[٨] حتى إن الذهبي عدّه «كبير المعتزلة»[٩]، رغم أن الفترة الزمنية التي تمذهب فيها الزمخشري بالاعتزال كانت

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، د.ت، ج١٩، ص ١٢٦.

(٢) معجم الأدباء، ج١٩، ص ١٢٦.
-ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج١٢، ص ٢٣٥.
-شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٩، ص ١٢٧.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١٥٦.

(٥) الحموي، معجم الأدباء، ج١٩، ص ١٢٧.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١٥٣.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص ٢٣٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١٥٢.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٥/١٢.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من آخر ما سمع عن المعتزلة، حيث «لجأوا إلى خوارزم ونشروا فيها مذهبهم على يد أبي مضر محمود بن جرير... وتخرّج عليه جماعة من أكابرهم، كمحمود الزمخشري (٤٩٧هـ-٥٣٨هـ). وقد ترك الأصبهاني في الزمخشري أثراً عميقاً، فنشأ معتزلياً قوياً في مذهبه فخوراً به... أصبح الزمخشري قوّة الاعتزال وداعية كبيراً.»[١]

ويظهر تمسكه بالاعتزال جلياً في مصنّفاته وخاصة تفسيره «الكشاف» إذ «التزم المعتزلة جميعاً بمنهجهم في تفسير القرآن الكريم على خلافٍ بينهم، ولكن لا تجد معتزلياً تعرض للتفسير إلاّ وظهر منهج المعتزلة وأسسهم في تفسيره ولا يحيد عنها إلى غيرها أبداً».[٢]

ترك الزمخشري تراثاً معرفياً ما يزال طلاب العلم يلجأون إليه، وسآتي على ذكر بعض مصنفاته:[٣]

- أساس البلاغة (جزءان).[٤]
- أطواق الذّهب في المواعظ والخطب[٥].
- أعجب العجب في شرح لامية العرب.[٦]
- الأنموذج في النحو.
- كتاب الأمكنة والمياه والجبال.[٧]

---

(١) زهدي جار الله، المعتزلة، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٢١٧.

(٢) مساعد مسلم ال جعفر، أثر التطوّر الفكري في التفسير في العصر العباسي، (مرجع سابق)، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) ذكر مؤلفات الزمخشري محمد عيسى صالحيّة في: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٩٣، ج٣، ص ١٠٥-١١٥.

(٤) الزمخشري ، أساس البلاغة ، (جزآن) ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٦.

(٥) تحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤.

(٦) دار الوراقة، دون مكان، ١٩٧٢.

(٧) تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، بغداد ١٩٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- خصائص العشرة الكرام البررة.
- الدرّ المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب.
- ربيع الأبرار وفصوص الأخبار.[1]
- الفائق في غريب الحديث.[2]
- الأحاجي النحوية.[3]
- المستقصى في أمثال العرب.[4]
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

وهذا الأخير هو الكتاب موضع الدراسة.

[الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل][5]

وهذا العنوان على ما يتضمن من سجع لطيف يشي بالكثير من محتواه، فهو -العنوان- يدلّ على زيادة في الكشف تضمنتها كلمة [الكشاف]، عن شيئين:

الأول: حقائق التنزيل وهي «معانيه التي ينساق إليها بلا صرفٍ عن ظاهره».[6]

الثاني: عيون الأقاويل في وجوه التأويل، وهي خيار المعاني التي تصرف عن الظاهر لأمارة تدل عليها.[7]

أي أن الكتاب سيأتي على كل الحقائق بالإضافة إلى خير ما في وجوه التأويل.

---

(١) ربيع الأبرار و فصوص الأخبار ، تحقيق و دراسة : عبد المجيد دياب ، رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢.

(٢) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

(٣) تحقيق: مصطفى الحدري، مكتبة الغزالي، حماة، د.ت.

(٤) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

(٥) دار المعرفة، بيروت، د.ت.

(٦) حاشية السيّد الشريف علي بن محمد بن علي السيّد زين الدين أبي الحسن الحسيني الجرجانيّ، على كتاب الكشاف، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص ١٨.

(٧) المرجع السابق، ص ١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعل الطابع الذي يطبع تفسير الكشاف هو اهتمام الزمخشري وإصراره على «تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب من معارضته»[1] حتى إنّ من جاء بعده من المفسرين اعتمدوا عليه، «فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات، والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى».[2]

وربّما كان أشيع ما قيل عن الكشاف ويقال، أنهُ «تفسير بلاغي» للقرآن، فقد كان الزمخشري «من أبرز البلاغيين الذين نهجوا نهج عبد القاهر، وكانوا امتداداً لمنهجه في دراسة البلاغة دراسة تطبيقية... واتخذ من تفسيره، للقرآن الكريم مجالاً للتطبيق»[3] ولكن هذا الكلام لا يثبت أن الكشاف «تفسير بلاغي»، إذ إن الزمخشري لم يتّبع نهجاً واحداً بلاغيّ المنحى في تفسيره لجميع الآيات التي تحوي نكاتٍ بلاغية بل نبّه على بعضها في حين، وأسهب في توضيحها وتبيينها في حينٍ آخر، وهذه -النكات البلاغية- تدخل في أحد الإطارين:

الأول: إطارٌ فكريّ متأثرٌ بانتماء الزمخشري الاعتزاليّ.

الثاني: إطار جماليّ خالص، عمد خلاله الزمخشري إلى إظهار جماليات بعض الصور والتشبيهات والتخييلات القرآنية.

وهو في ذلك كلّه يراوح بشكلٍ واضح في مدى تعمقه القضية المدروسة حيث كان يتعمق في «دلالة الكلمة المذكورة حيناً والتعبير أو التركيب حيناً آخر، وكان يطل منهما على معانٍ وجدانية، في كثير من الأحيان، كزيادة التصوير والتقرير والتركيب... وأنه في هذه المعاني كان يصدر عن نفسه حيناً ويقف عند البعد الوجداني للمتلقي حيناً آخر».[4]

---

(١) التفسير والمفسرون، ١ / ٤٤٣.

(٢) المرجع السابق، ١ / ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) توفيق الفيل، البلاغة العربية بين القصور والتقصير، دراسة في النشأة والتطور، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الرابع عشر، ١٩٩١، ص ١٧٥.

(٤) تامر سلّوم، الحذف والذكر في كشاف الزمخشري، مجلة نهج الإسلام، دمشق، عدد ٦١، سنة ١٦، ١٩٩٥، ص ١٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد نراه يحاول الانفلات من التعمق في بعض الآيات، وربما كان التركيز على سورة البقرة جلياً، فقد كان تقصّى وتتبع غاية ما في الآية من دلالات وجماليات، ولا غرو في ذلك، فقد أملى الزمخشري على سائليه بعد إلحاحهم أن يضع تفسيراً للقرآن الكريم «مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب، طويل الذيول والأذناب»[1] ولم يفعل ذلك في سائر التفسير، فاقتصر على منهج تحليلي، «يُذهب روعة النص»[2] من خلال تفتيت النص طلباً للمعنى.

ويشفق الزمخشري على أهل زمانه فلا يكثر من قضايا ومسائل البيان والمعاني، لعجزهم عن استيعابها، فتفسير القرآن يتطلّب العلم، والبراعة في «علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان»[3]، وبهذا «لم يتكلم عن بلاغة القرآن كما كان يستطيع أن يتكلم لأنه من غير شك نظر إلى جمهرة القراء الذين كتب لهم هذا التفسير».[4]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الكشاف، ١ / ٢٠.

(٢) مهدي صالح السّامرّائي، التشبيه بين العلمية والأدبية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد العشرون، ١٩٧٦، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) الكشاف ١٦/١.

(٤) محمد محمد موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٦٥.

المبحث الثاني: شواهد الأساليب التركيبية

استشهد الزمخشري في كشّافه خلال شرحه الآيات بالكثير من الأبيات الشعرية، منها شواهد جاءت لشرح مفردة قرآنية ومنها لشرح مفردة غير قرآنية لتأييد معنىً قرآني، ومنها لتوجيه قراءة قرآنية، وأخيراً لشرح أسلوبٍ تركيبيّ.

أما عدد الشواهد السابقة ونسبتها بعضها إلى بعض فهي كالتالي:

	شواهد المفردة القرآنية	شواهد لشرح معنى قرآني	شواهد القراءات	شواهد الأساليب التركيبية
عددها	٢٨٧	١٠٠	٥٣	١٠٥
نسبتها	٥٢,٦٦	٪١٨,٣٤	٪٩,٧	٪١٩,٢٦

ونظراً لكثرة عدد الشواهد البالغة خمسمئةٍ وخمسةٍ وأربعين شاهداً، رأيت أن أضيّق سَعتها فأختار من بين الفئات السابقة، فكان أن استثنيت شواهد المفردة القرآنية لأن معظمها يدخل في نطاق بحثٍ أشبعه القدماء واستوعبته الكثير من الكتب وهو غريب القرآن[1]، وأمّا الفئة الثانية فهي لغويّة بحتة، والثالثة عددها لا يقيم دراسة مستقلة، فكان أن اخترت شواهد الأساليب التركيبية، فمجالها متسعٌ بحسب الأساليب وهي وفيرةٌ، ومنها ما يخص القرآن الكريم وحده.

(١) ذكرت بعض هذه الكتب في الفصل الأول.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: مفهوم الأساليب التركيبية

إن عبارة الأساليب التركيبية التي يستخدمها البحث والتي تشكل جزءاً رئيساً من عنوانه، لا تحيدُ عن المعنى اللغوي، فالأسلوب هو «الطريق والوجه والمذهب»[1] وتجمع على أساليب، وللأساليب صفة «التركيبية» من تركيب الكلام، أي توليفِهِ بعضه على بعض، فالأساليب التركيبية مجموعة من الطرق التي يركّب فيها الكلام وهي متعددة عدد ما نطق بها العرب وسينطقون.

وانطلاقاً من كون اللغة بوصفها كلاماً وخطابات، ونصوصاً وغيرها، تتكون من سلاسل من الأساليب التركيبية، وجب أخذ القضية الوظيفية بعين الاعتبار، ومن هذه القضية التي يتم من خلالها تجاوز البناء المجرّد إلى الوظيفة تمت قسمة الشواهد أي تبعاً للوظيفة.

وقد قسمت الأساليب التركيبية إلى الأنواع التالية:

أولاً: أساليب تركيبية نحوية: وهي الأساليب التي يكون الغرض منها مجرداً من أيّة دلالةٍ جمالية أو فنيةٍ، إلا إذا كانت جماليتها داثرةً في تاريخ تطورها.

ثانياً: أساليب تركيبية نحوية ذات دلالات بلاغية: وهي ذاتها الأساليب النحوية سابقة الذكر محلاّة ببعض الدلالات البلاغية التي تميزها عن مجرد الإخبار أو الوصف أو الاستفهام أو غيرها، لغرضٍ مقصود.

ثالثاً: أساليب تركيبية بلاغية: وهي الأساليب التي تتجاوز التراكيب النحوية من خلال طرق خاصّة تتبعها فتغير المعنى وهي نحوية في الأصل لكنها نحت طريقاً آخر جعل لها سمة خاصة، ترسمُ في الذهن دلالات معينة جمالية في الغالب، وهي مقصودةٌ لذاتها.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ج١/ ٤٧٣، مادة (سلَبَ).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والجدول التالي يبين أنواع الأساليب بالتفصيل وعدد الشواهد التي ستتناولها الدراسة:

الأساليب التركيبية النحوية		الأساليب النحوية ذات الدلالات البلاغية		الأساليب البلاغية	
نوع الأسلوب	عدد الشواهد	نوع الأسلوب	عدد الشواهد	نوع الأسلوب	عدد الشواهد
العطف	١٠	الحذف	١٢	الاستعارة	٨
النعت	٧	التكرار	٣	التشبيه	٥
الاستثناء	٥	التقديم والتأخير	٣	التخييل	٢
القسم	٤	معاني الحروف	١٢	المجاز	٢
البدل	٣	جمع المثنى	١	الإشارة إلى المؤنث بالمذكر	٢
الحال	٢	جمع المفرد	١	الالتفات	١
النداء	٢	دلالة المضارعة	١	التسلسل في العرض	١
التوكيد	٤			التعريض	١
تعجب	٢				
الاستفهام	٤				
الابتداء	١				
التعريف والتنكير	٣				
عودة الضمير	٣	المجموع	٣٣	المجموع	٢٢
المجموع	٥٠				

وقبل أن أبدأ بدراسة الشواهد الواردة في الجدول السابق، ينبغي توضيح المنهج الذي سأسلكه، حيث أبدأ بسرد الشواهد التي ستتم مناقشتها من ثم بذكر الشاهد وقائله، ثم أذكر الآية التي استشهد عليها بالشاهد، وأورد تعليق الزمخشري وطريقته في الاستشهاد، وأختم ذلك كله ببعض التعليقات التي أراها ضرورية وذات فائدة، على أني لن أتناول جميع الشواهد في الأساليب التي تكثر شواهدها ولن أنقصها حقها أيضاً، إنما أحاول أن أفي بالغرض.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع: شواهد الأساليب التركيبية النحوية

المطلب الأول: العطف

هو لغةً مصدر عَطَفَ، وهو الرجوع[1] وهو اصطلاحاً عطف كلمةً على أخرى أو جملة على جملة بواسطة حرفٍ من حروف العطف، ويشكّل المعطوف والمعطوف عليه وحرف العطف المركّب العطفيّ.[2]

أما شواهد العطف التي سأتناولها فهي:

علفتُها تبناً وماءً بارداً حتى غدَت همّالةً عيناهـــا

ورأيت زوجك في الوغى متـــقـــلداً سيفـــاً ورمحـــا

أمن يهجو رسولَ اللهِ منكُم ويمدحُهُ وينصره سواءُ

يا لهـفَ زيّابـــة للحارث الصـــابـــحِ فالغـــانمِ الآيبِ

إلى الملك القرمِ وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وأول هذه الشواهد:

علفتُها تبناً وماءً بارداً حتى غدَت همّالةً عيناها[3]

جاء هذا البيت الشاهد في معرض التعليق على التركيب شبه الجملي (في موسى) المسبوق بحرف العطف (الواو) في الآية:

﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾[4]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٩ /٢٤٩، مادة (عَطَفَ).

(٢) عزيزة بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ٢/٦٤٣.

(٣) الزمخشري ، الكشّاف ١٩/٤.

(٤) سورة الذاريات آية ٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيث بحث الزمخشري في قضية المعطوف عليه في الآية، ليجد أن (في موسى) «عطفٌ على -وفي الأرض آيات- أو على قوله -وتركنا فيها آية- على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله...».[1] ويذكر الشطر الأول من البيت فقط وهو شائعٌ عند جمهور النحاةِ، فالزمخشري إذن يرجح المعنى الثاني الذي يستشهد عليه، فيضع الآية مقابل الشاهد:

تركنـــا تقابل علفتها

في موسى تقابل مـــاءً

ولأن الترك لا يتناسب مع موسى عليه السلام قدّر الزمخشري في حالة العطفِ هذه «وجعلنا» ومن المقابلة بين الآية والشاهد يتبين لنا أن الترك يقابل العلف والجعل يقابل السقيا في حين رأى ابن هشام أنْ «لا حذف بل ضمّن علفتُها معنى أنَلْتُها»[2] وهذا واضحٌ إلاّ أن الحاجة هنا إلى الشاهد هي التي بحاجةٍ إلى تفسير.

إنّ الزمخشري هنا رأى أن الشاهد ضروري، وإن ذكر شطراً منه فقط وهو الأول، ولم يذكر القائل، فالبيت لذي الرمة[3]، وهو حين يذكر أكثر من معنىً يحتاج بالضرورة إلى ما يستندُ عليه في الترجيح، وكفى بالقول الشعري هنا سنداً فهو لعربي وفضلاً عن ذلك شاهد نحويّ معروف.

ويعود الزمخشري ليستشهد بالبيت نفسهِ في الآية:

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم...﴾.[4]

---

(١) الكشّاف ١٩/٤.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب ١٣٩/٣-١٤٠.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب ١٣٩/٣-١٤٠.

(٤) سورة الحشر آية ٨-٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيث يرى الزمخشري أن الجملة (والذين تبوءوا) «معطوف على المهاجرين وهم الأنصار. فإن قلت: ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوءوا الإيمان؟ قلت: معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله: ....».[1] البيت.

وعن طريق المقابلة بين الآية والشاهد نجد أنّ:

الذين تبوءوا الدار	تقابل	علفتها تبناً
والإيمـــــــان	تقابل	ومـــــاءً

فالتبوء يقابل العلف، والإخلاص يقابل السقيا، ولكنّ الزمخشري وبعد استشهاده بالبيت يعود ليطرح رأياً آخر هو أن المقصود دار الهجرة ودار الإيمان لكن الله سبحانه وتعالى «أقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه، أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان».[2] وهذا معنىً طريفٌ لا يخل بالمعنى ولكن لنا أن نتساءل عن حاجة الزمخشري هنا لطرحٍ آخر بعد ذلك الذي أيّده بالشاهد، إنه في المعنى الثاني يخالف رأيه المؤيد بالشاهد، إذ اشتركت الدار والإيمان في نفس المعطوف عليه وهو تبوءوا، في حين لا يشتركان في المعنى الآخر.

إن الزمخشري يطرح في معظم مسائله التفسيرية عدداً من الآراء ونراه يرجح رأياً أحياناً غير ذلك المصحوب بالشاهد، لأنه قد يرى ما يقتنع به دون الحاجة إلى قولٍ شعري، فليس هذا ملزماً للأخذ به إنما يطرح رأياً لعالمٍ آخر، ورأياً مصحوباً بشاهدٍ شعري، وآخر بقول نبوي شريف، وآخر له ويترك القارئ بالخيار، ثم إن طريقته السردية الحواريّة تضفي على المسألة طابعاً خاصاً يتعلق بالتلقي، إنه يصطنع حواراً فيه قال ... وقلتُ.... وإذا قال...، يعمد من خلاله إلى كسر رتابةٍ كان يتوقعها، فتجنبها في اختلاف الأسئلة، وطلب الحجج والبراهين من ذلك السائل المتوهم.

---

(١) الزمخشري، الكشّاف ٤/٨٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٤/٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد رأى الفارسي والفراء وبعض الكوفيين والبصريين في مثل هذه الحالة أي عدم اشتراك المتعاطفين في معنى المعطوف، رأوا أن يقدر فعل محذوف للثاني ليصح العطف، كيلا يكون المعنى متعذراً، ولكنني أرى رأي أبي عبيدة والأصمعي واليزيدي الذين ضمنوا (العامل) معنىً ينتظم كلاً من المعطوف والمعطوف عليه، فقدروا مثلاً في هذه الآية (آثروا الدار والأيمان).[1]

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١٢٤/٣، ١٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويصادف الزمخشري آية أخرى جاء فيها تركيب العطف على غير وضوح وشاهدها البيت:

ورأيت زوجك في الوغى متقلّداً سيفاً ورمحا[1]

(بحر الكامل)

ورد هذا البيت وهو لعبد الله بن الزبعرى[2] -ولم ينسبه الزمخشري- في الحديث عن الآية:

﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا﴾.[3]

ويكرر الزمخشري أسلوبه الحواريّ فيقول: فإن قلت: «كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت: معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله...».[4] ويذكر الشطر الثاني من الشاهد، مقابلاً بين الآية والشاهد:

أرادَ بكم سوءاً	تقابل	متقلداً سيفاً
أراد بكم رحمة	تقابل	ورمحـــــاً

كأن الزمخشري حين استشهد بالبيت أراد أن يفرّق بين السوء والرحمة في المعطوف عليه، وعلى تقدير الزمخشري للآية وتقدير النحاة للشاهد ومنهم الزمخشري:

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٢٥٥.

(٢) حنا جميل حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤، شاهد (٥١٦).

(٣) سورة الأحزاب آية ١٧.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٣/٢٥٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أراد بكم سوءاً أو بصيبكم بسوءٍ إن أراد بكم رحمة

متقلداً سيفاً و حاملاً رمحاً

إن تفسير الزمخشري لواقع الحذف في الآية «باختصار الكلام» ليس دقيقاً ولا علمياً، إذ كيف يقتنع السائل عن معنى الآية حين يكون الجواب بالاختصار خاصةً وأن القضية تتعلق بكلام الله، ولأن العصمة لا تكون من محاسن الأمور كالرحمة ولا يكون التقلد للرمح فهو يُحمل حملاً، كان التفسير بحمل «الثاني على الأول»[1] أدق، والحمل في البيت على المعنى لا على اللفظ.[2] كما في الآية.

وأما البيت:

أمن يهجو رسولَ الله منكُم ويمدحُهُ وينصره سواء[3]

فقد نسبه الزمخشري لحسّان ابن ثابت استشهد به في تفسير الآية:

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير﴾.[4]

والمقابلة هنا بين تقدير (ولا في السماء) بـ (ولا من في السماء)[5]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٥٥/٣.

(٢) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، الطبعة الرابعة، ج١، ص ٤٣٣، برواية أخرى للبيت هي:
يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ٢٠٣/٣، حناحدادمعجم الشواهدالنحو الشعرية ، ، شاهد، (٩)، برواية (فمن) بدلاً من (أمن) وكذلك في ديوانه، بتحقيق: حسن حنفي حسنين وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٦.

(٤) سورة العنكبوت آية ٢٢.

(٥) الزمخشري ، الكشاف ٢٠٣/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالتركيب نفسه في البيت، حيث عطف الفعل (يمدحُ) على (يهجو) مع إسقاط التركيب منكم وحقه أن يظهر لتمام المعنى فهو -المعنى- ويمدحه منكم وينصره منكم.

وأما البيت:

يا لهفَ زيّابة للحارث الصابحِ فالغانمِ الآيبِ[1]

(بحر السريع)

فقد استشهد به الزمخشري في مسألتين، الأولى في الآية:

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك. . .﴾.[2]

وكما أشرنا سابقاً إلى أسلوب الحوار المختلق يتساءل الزمخشري «فإن قلت: والذين يؤمنون أهم غير الأولين، أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله:

إلى الملك القرمِ وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله: .....»[3] ويذكر البيت. وهو لابن زيابة، من أبيات الخزانة[4]. والمعنى واضحٌ دونما استشهادٍ بأي قولٍ شعري، اللهم إلا إذا كان السائل طلب ذلك ولا أظنّه هنا قد فعل، إذ إنّ الزمخشري متأخر كثيراً عن ذلك الزمان الذي كان يقدّس فيه قول الأعراب ويطلبُ الشاهد على المعنى كما في مسائل نافع بن الأزرق بإلحاح شديد. فالشاهد عند الزمخشري يورد دفعاً للسأم أحياناً كأسلوب جماليّ ضدّ جفاف العلمية النحوية. ولكن الزمخشري في هذه

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ١٣٣/١، حناحداد معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد، (٢٦٨) برواية (يا ويح) بدلاً من (يا لهفه) و (فالآيب) بدلاً من (الآيب).

(٢) سورة البقرة آية ٣ و ٤.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ١٣٣/١.

(٤) البغدادي ، خزانة الأدب ١٠٧/٥ و ٥/١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المسألة يحتمل أن يراد (بالذين يؤمنون) أن يكونوا «أهل الكتاب كعبد الله بن سلاّم وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله»[1] وهذا ما لا يخطر ببال أحد إذ الآيات متعاطفة بشكل متماسك ولا مجال لإدخال أمثال السابق ذكرهم.

وأما المسألة الثانية التي استشهد عليها بنفس البيت السابق:

يا لهفَ زيّابة للحرثِ الصـ ـــابحِ فالغانم فالآيب[2]

(بحر السريع)

في شرح الآيات: ﴿والصافات صفّا، فالزّاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا﴾.[3]

والمسألة تتعلق بدلالة الفاء في التراكيب الجملية السابقة، يرى الزمخشري هنا أنها «إما أن تدل على ترتب معانيها {يقصد الصفات} في الوجود»[4] كما في البيت كأنّ المعنى الذي «صبح فغَنَم فآب»[5] أو على الترتيب في التفاوت أو الترتيب في الموصوفات. ويترك المسألة مفتوحة لفهم القارئ فإن افترضت توحد الموصوف فدلالة الفاء ترتب الصفات في تفاضلها، وإن افترضت تثلث الموصوفات فالصفات مختلفة.[6] ويرجح صاحب خزانة الأدب كون المعنى عطف الصفات على الصفات... بناءً على تغاير المفهومات وإن كانت متحدّة بالذات».[7]

إن أوضح ما تبيناه من خلال الحديث عن الشواهد السابقة أن الزمخشري سلك في الاستشهاد نهجاً محدداً، وكرر الكثير من الأساليب في عرض المعاني المتعددة، حيث كان يذكر معاني واضحة لا تكاد تتجاوز الدلالة اللغوية، وأخرى تحتاج غوصاً على ما كنَّ في اللفظ من

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ١/١٣٤.
(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٣٤.
(٣) سورة الصافات آية ١، ٢، ٣.
(٤) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٣٤.
(٥) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٣٤.
(٦) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٣٤.
(٧) البغدادي ، خزانة الأدب ٥/١٠٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

معنى، وأخرى تطفح دلالاتٍ وغيرها تحتاج إلى شاهد شعري، وربما ذكر الشاهد دونما مسيس حاجة إليه، فكان بذلك يسحق البيت الشعري سحقاً من خلال ذكره لمجرد أن يذكره، فيأتي بلا انسيابٍ مع النص.

وهو في استشهاده كذلك لا ينسب البيت إلى صاحبه وإن كان معروفاً، ربما لشهرته أو لمكانة الشاهد القوية الناشئة من تكراره عند النحاة أو علماء اللغة وهو النحوي واللغوي، ولا نراه كذلك يذكر البيت كاملاً، إنما شطراً منه أو بعض شطر. وستتبين الكثير من الملامح الأخرى في منهجه في الاستشهاد من خلال الشواهد الآتية، وإنما اكتفيت هنا بهذا القدر من الشواهد المتعلقة بالعطف، لإفساح المجال أمام قضايا أخرى لعرض شواهدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: النعت (الصفة):

والنعت هو «التابع الذي يكمِّل متبوعه بدلالته على معنىً فيه، أو فيما يتعلق به».[1]

وسأكتفي من شواهد النعت بالآتية:

ولقد أمر على اللئيم يَسُبّني فمضيتُ ثمّت قلتُ لا يعنيني

وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملّت

مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي سرودةٌ من حديدِ

وإني لأستوفي حقوقي جاهداً ولو في عيون النازيات باكرع

وأبدأ بالبيت الذي استشهد به على قضيتين وهو:

ولقد أمر على اللئيم يَسُبّني فمضيتُ ثمّت قلتُ لا يعنيني[2]

واكتفى بذكر الشّطر الأول فقط استشهاداً به على الآية وهي القضية الأولى:

﴿صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم﴾.[3]

وذلك على صحة وقوع «(غير) صفة للمعرفة فهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف، قلت: الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله: .... ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم، فليس في (غير) إذن الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرّف».[4]

---

(١) ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٣/٣٠٠.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ١/٧٠ وهو من أبيات الكتاب، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ٣/٣٤، حناحداد ، معجم شواهد النحو الشعرية ، شاهد (٣٠٨٣) وهو لعميرة بن جابر الحنفي.

(٣) سورة الفاتحة آية ٦-٧.

(٤) الزمخشري ، الكشاف ١/٧٠ - ٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن الزمخشري بإيراده الحجج النحوية والأبيات الشعرية وأسلوب الحوار وغير ذلك كأنما هو مهاجمٌ في علمه ومنتقصٌ قدره فيه، لهذا نراه يستعرض كل ما يعرف عن المسائل التي يتصدى لها والتي يختلقها أصلاً ليتيح لنفسه أن يُبرز معارفه في عصرٍ يتهم هو أهلَه بقلة العلم والاكتراث له، فنراه يحرج نفسه أسئلةً هو صاحبها ويحتار أيضاً في إجابات هي له، ويترك المتلقي في حيرةٍ من أمره للتقارب بين المعاني أحياناً ولبعد المعنى أحياناً ولتشتت المعاني وتفرّع مسائلها غير ذات الأهمية.

ولنعد إلى القضية الثانية التي استشهد عليها بالبيت السابق نفسه، في الآية:

﴿وآية لهم الأرض الميتةُ أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون﴾.[1]

والمسألة في الصفة أحييناها، فهي فعلٌ ماضٍ يصف الأرض وجاز ذلك لكون الأرض الميتة الواردة في سياق النص القرآني أرضاً مطلقة لا محددة بعينها فهي كالنكرة في الحُكم تماماً كالبيت السابق.[2]

(الأرض الميتة) تقابل (اللئيم)

(أحييناها) تقابل (يسبّني)

فكما أن الأرض الميتة مطلقة، كذلك المراد من اللئيم فهو لئيم من اللؤماء، أي لئيمٍ كان»[3] وكما أنّ الصفة (أحييناها) تصف الأرض الميتة التي هي في حكم النكرة، تجيء جملة (يسبّني) «وصفٌ اللئيم في المعنى وحالٌ منه باعتبار اللفظ، والأول أظهر للمقصود، وهو التمدح بالوقار والتحمل، لأن المعنى أمرّ على اللئيم الذي عادته سبّي».[4]

---

(١) سورة يس آية ٣٣.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٢١.

(٣) البغدادي ، الخزانة ٤/٢٠٦.

(٤) البغدادي ، الخزانة ١/٣٥٧-٣٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملّت[1]

والبيت لسُلمى بن ربيعة[2]، ولم ينسبه الزمخشري لصاحبه مكتفياً بنسبته إلى الحماسة[3] وذلك في القول على الآية:

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾.[4]

وهنا وقعت صفة الأزواج وهن النساء مفردةً لا مجموعة (مطهرة) وهذا هو الشائع والمطرد، وهو مفهومٌ بلفظه ومعناه، والسؤال الذي يفترضه كما هو أسلوبه - الزمخشري -: «هلا جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف؟ قلت: هما لغتان فصيحتان يقال: النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة.[5]

وبمقابلة الآية بالشاهد نجد أن العذارى في البيت عوملت معاملة المفرد في الصفة فهي تقنعت واستعجلت وملت، وكذلك أزواج الآية مطهرة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٢١.

(٢) حناحداد، معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد (٤٣٥).

(٣) الزمخشري، الكشاف ١/٢٦٢.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥.

(٥) الزمخشري، الكشاف ١/٢٦٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مفرشي صهوة الحصان ولكن

قميصي سرودةٌ من حديدِ [1]

(بحر الخفيف)

والبيت مجهول القائل جاء به الزمخشري مستشهداً به على صفة السفينة في الآية:

﴿وحملناه على ذات الواح ودُسُرٍ﴾.[2]

فذات الألواح والدسر «من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها»[3] وهو تعبيرٌ جميلٌ وأسلوب طريف أن يشار إلى الشيء بصفته أو صفاته كأنما هو عَوْد إلى بدايات اللغة حيث تكثر الموصوفات قبيل الاصطلاح على أسماء خاصة لكل ذي بال وفي البيت الشاهد، (مسرودةٌ من جديد) صفةٌ للدرع، على تقدير قميصي درعٌ فالصفة للدرع، ومن ذلك أيضاً:

(١) الزمخشري ، الكشاف ٣٨/٤.

(٢) سورة القمر آية ١٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣٨/٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وإني لأستوفي حقوقي جاهداً ولو في عيون النازيات بأكرعِ[1]

(فالنازيات بأكرع) هي تعبير يطلق على الجراد واصفاً أيّاه.

ويرى صاحب البرهان أن تقدير الآية (سفينةٍ ذات ألواحٍ ودُسُر) حيث أثبت وجود كلٍ من الصفة والموصوف[2]، لا كما رأى الزمخشري من جواز حلول الصفة مكان الموصوف كأن لا فرق بينهما، والذي ذهب إليه صاحب البرهان أكثر دقة وقبولاً مما ذهب إليه الزمخشري، فالصفة لا يمكن بحالٍ أن تحل محل الموصوف، فكل له مقام لا يصح لغيره، ولا يحل محله، والعربية عموماً ليست فيها ما يحل مكان الآخر إذ لا ترادف ولا تطابق بين الألفاظ، إنما لكل لفظٍ عربيٍّ خصوصيته المميزة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٨/٤.

(٢) الزركشي، البرهان ١٥٥/٣.

٣: الاستثناء

وشواهد الاستثناء موضع الدراسة هي:

عشية ما تغنى الرماح مكانها ولا النبلُ إلاّ الأشرفيُّ المصممُ

وبلدةٍ ليس بها أنيسٌ إلا اليعافيرُ وإلاّ العيس

أضحت خلاءً قفاراً لا أنيس بها إلا الجاذرُ والظلمانُ تختلفُ

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراع الكتائب

وأول شواهد الاستثناء

عشية ما تغنى الرماح مكانها ولا النبلُ إلاّ الأشرفيُّ المصمم[١]

أورد الزمخشري هذا البيت ليعلل سبب رفع اسم الله في الآية:

﴿قل لا يعلم من في السمواتِ والأرضِ الغيبَ إلا اللهُ وما يشعرون أيان يبعثون﴾.[٢]

فسبب الرفع هنا إبدال لفظ الجلالة من (مَنْ) التي اعتبرها اسماً موصولاً «على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ، يريدون ما فيها إلا حمار كأن أحداً لم يذكر».[٣]

إلا أن تخريج الزمخشري الآيةَ على أنها لغة بني تميم وهي ضعيفة، تخريج غير قوي، ذلك أن القراء السبعة قرأوا بها على أنها استثناء منقطع، وما كان ينبغي عليه أن يخرّج قراءة السبعة على هذا الوجه الضعيف.[٤] أما بقية العلماء فقد التمسوا تخريجاتٍ أخرى كلها مقبولة بدرجاتٍ متفاوتة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١٥٦/٣، حنا حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد (٢٥٠٣).

(٢) سورة النمل، آية ٦٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٥٦/٣.

(٤) محمد محيي الدين عبد الحميد، عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، دار الفكر، بيروت، ج٢/ ٢٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالآية «سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيءٍ منه»[1] ومن تفسيره هذا «يتبدّى لنا حرص الزمخشري الشديد في فهم العلاقة بين أجزاء العبارة أو ركني الإسناد، فهماً دقيقاً في منحى آخر يتصل بالأبعاد الأخرى ويضفي على نسيج العلاقة متانةً وقوةً يحفظُها من التفكك والفتور، ذلك المنحى هو تحديد «الاختصاص» في صيغة إلا»[2] في الآية السابقة ويرى باحث أن هذا التفسير بالاختصاص جاء إرضاءً لإيمان الزمخشري الاعتزالي الذي طغى على عمله الفني[3] ولم يكن الكشاف عملاً فنياً كما توهّم الباحث، وكل ما جاء فيه من مباحث جمالية تصبُّ في الإطار الاعتزالي وحسب.

والمعنى الظاهر عندي: لا يعلم الغيب إلا الله، فلا حاجة عندها لتأويلاتٍ وأما البيت الشاهد فهو لأبي الطمحان.[4]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ١٥٧/٣.

(٢) تامر سلّوم، ظاهرة «القصر» في كشاف الزمخشري، مجلة التراث العربي، عدد ٦٤، سنة ١٩٩٦، ص ١١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٤) محب الدين أفندي، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ص ٥٣٦.

ومن شواهد الاستثناء

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ[1]

(بحر الرجز)

أضحت خلاءً قفاراً لا أنيس بها إلا الجاذرُ والظلمانُ تختلف[2]

(بحر البسيط).

والأول لعامر بن الحرث المشهور بجران العود[3] ولم ينسبه الزمخشري، والثاني نسبه لبشر بن أبي حازم، جاء بهما استشهاداً على نفس القضية السابقة وهي التي كما في قول تميم ما في الدار أحدٌ إلا حمار وذلك في قراءة من قرأ الآية:

﴿وما لأحد عنده من نعمةٍ تجزى، إلا ابتغاءُ وجه ربه الأعلى﴾.[4]

فالقراءة بالرفع توافق وجهاً من أوجه العربية وهو الذي تكلمت به تميم، وهي نفسها القضية التي تناولتها في الشاهد السابق، ومن عادة الزمخشري أن يفعل ذلك، أي يكرر الشواهد أو ينوع فيها، فنراه يستشهد على أبسط المسائل بشاهدين أو أكثر، ثم إذا ما تكررت المسألة عاد فأتى بشاهد آخر وربما اثنين، ولا بأس إذ هذه طريقته.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٤/٢٦٢، حنا حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد (٣٤٢٠).

(٢) الزمخشري، الكشاف ٤/٢٦٢، ديوان بشر بن أبي خازم، تقديم وشرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٠١، قصيدة رقم (٢٩)، بيت ٤، برواية إلا الجوازيء، بدلاً من (الجاذر) ويبطل بذلك موطن الشاهد.

(٣) محب الدين أفندي، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ص ٤٣٢، وانظر كذلك مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، ص ٦٥.

(٤) سورة الليل آية ١٩-٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن شواهد الاستثناء أيضاً:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراع الكتائب[1]

(بحر الطويل).

والبيت للنابغة الذبياني[2] ولم ينسبه الزمخشري والآية:

﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾.[3]

فقد أراد أن يجعل التسليم من جنس اللغو، والتسليم كله لغو ولا يسمعون غيره، لهذا جاء بالبيت الذي فيه السيوف المفلولة من عيوب القوم ويا حبذا تلك السيوف عيباً وهي من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم.[4]، فهي مغلولة من قراع الكتائب لا من شيء آخر، والزمخشري هنا يتنصل من اللفظ ساعياً وراء المعنى، كما هو شأنه في العديد من المسائل.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(١) الزمخشري ، الكشاف ٢/٥١٥.

(٢) انظر ديوانه، بتحقيق حنا ناصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٣، وكذلك حناحداد، معجم شواهد النحو الشعرية ، شاهد (٣٤٨).

(٣) سورة مريم أية ٦٢.

(٤) ابن المعتز ، كتاب البديع، ص ٦٢.

المطلب الرابع: القسم

القسم لغةً هو اليمين وأقسم بالله حلف به[1] وهو اصطلاحاً «الحلف بالله لتأكيد الكلام وتصديق المتكلم».[2] وسأكتفي من شواهد القسم بالآتية:

فـــلا وأبيـكِ ابنة الـعـــامـــريّ لا يـدّعي الـقـــــومُ أني أفـــــر

يا عـــارضـــاً مـتـلـفـعـاً بـيـرودِه يخـــتـــالُ بين بروقِـــه ورعـــودِه

ألا نادت أمـــامـــه باحـتـمـــال لتـــحـــزنـني فـــلا بك مـــا أبـالي

وأول هذه الشواهد:

فلا وأبيكِ ابنة العامريّ لا يدّعي القومُ أني أفرّ[3]

جاء هذا البيت شاهداً على إدخال لا النافية على فعل القسم وهو «مستفيضٌ في كلامهم وأشعارهم»[4] أي العرب، والآية:

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾.[5]

وقد نسب الزمخشري هذا البيت لامرئ القيس[6]، ولما كان الأسلوب هذا مستفيضاً في كلام العرب وأشعارهم فما الحاجة إليه إذن؟؟

إن الزمخشري اتبع نهجاً واضحاً على ما يبدو، وقد أشرت تلميحاً إلى بعضه سابقاً، وهو أن تتعدد الآراء على أن يكون من بينها رأيٌ حجته شاهد شعري، لمن يبحث عن قول العرب ويسعى إلى انتحاء طريقتهم حتى أنه يرى في بعض تراكيب الشعر تفوقاً على تراكيب القرآن، فمن ذلك تعليقه على بيت البحتري:

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ١٢ /٤٨١، مادة (قسم).

(٢) عزيزة بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، ٢ /٧٩٤.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ١٨٩/٤.

(٤) الزمخشري ، الكشاف ١٨٩/٤

(٥) سورة القيامة آية ١.

(٦) ديوان امرؤ القيس، شرح وتحقيق: محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٥، ص ٥٥، وانظر كذلك حناحداد، معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد (١٣٧١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يا عـارضـاً متلفـعـاً ببـرودِه يختـالُ بين بروقِـه ورعـودِه[1]

وذلك حين تناول الحديث حول الآية:

﴿أو كصيبٍ من السماء فيه ظلمات ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيطٌ بالكافرين﴾.[2]

حين يتساءل: «هلاّ جمع الرعد والبرق أخذاً بالأبلغ كقول البحتري»؟![3] ولكنه لم يستطع التخلص من كون البيت أبلغ أو صيغة الجمع هي الأبلغ، فقد حاول عرض عدد من الآراء، فأصل القول رعدت السماء وأبرقت رعداً وبرقاً، فالمعنى المراد -وهذا ما يبحث عنه ويسعى إليه- هو معنى الجمع، ولكن الأصل هو الذي ثبت في الآية، ويسترسل في حديث عن ترك الأصل وبقاء معناه. ثم كيف حكم مسبقاً على صيغة البيت بأنها الأبلغ ويصر على ذكراسم الشاعر وهو خارج على عصر الاحتجاج، وما هذا إلا دليلٌ على تعصبه للشعر والشاعر وبلاغتهما.[4]

ولستُ أرى بالمسألة حاجة لكثير كلامٍ في اللفظ وتركه والمعنى وبقائه، إذ ليست هناك ثمة سمات جمالية إن كان اللفظ القرآني على صيغة الجمع أي ظلمات ورعودٌ وبروق، وكفى بكلمة (ظلمات) إثارةً للخوف والرهبة.

ولا يكتفي الزمخشري بالشاهد السابق على قضية إدخال لا النافية على القسم فيذكر بيتاً آخر هو:

ألا نادت أمامه باحتمال لتحزنني فلا بك ما أبالي

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ٢١٥/١.

(٢) سورة البقرة آية ١٩.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ٢١٥/١.

(٤) الزمخشري ، الكشاف ٢١٥/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الخامس: البدل

والبدل هو : «التابع المقصود بالحكم بلا واسطة»[1]، ويتفرع البدل إلى عدة أنواع منها بدل كل من كل وهو «بدل الشيء مما هو طبق معناه»[2]، وبدل بعض من كل، وبدل اشتمال، والبدل المباين[3] ونظراً لقلة شواهد البدل سأتناول شاهداً واحداً يغني عن البقية:

مستى تأتنا تلمم بنا في دارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا[4]

(بحر الطويل)

جاء هذا البيت شاهداً على تركيب البدل في الآية:

﴿والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾.[5]

حيث جاء الفعل يضاعف بدلاً من يلق في الآية السابقة لها، «لأنهما في معنى واحد»[6]، كما يرى الزمخشري، ولست أراهما كذلك، فإن لقيا الشيء غير مضاعفة الشيء، والأثام غير العذاب، إلا إن كان العذاب أقل من الأثام بمقدار التضعيف الذي يتضمنه التوعد في الفعل (يضاعف)، حتى يصير معنى لقيا الأثام هو نفسه مضاعفة العذاب، ولننظر المقابلة في المعنى:

يلق أثاما تقابل يضاعف العذاب

(يلق) تقابل (يضاعف).

---

(١) ابن هشام، أوضح المسالك ألى ألفيّة ابن مالك ٣ /٣٩.

(٢) المرجع السابق ٣ /٤٠١.

(٣) المرجع السابق ٣ /٤٠١-٤٠٤.

(٤) الكشاف ٣ /١٠١، حنا حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد (٤٤٤) برواية (ديارنا) بدلاً من (دارنا).

(٥) سورة الفرقان الآيات ٦٨-٦٩.

(٦) الزمخشري، الكشاف /١٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(أثاما) تقابل (العذاب)

وهذا مايجب التحقق منه، فالتلقي كما جاء في لسان العرب هو «الاستقبال»، ومنه قوله تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾[1]. فتلقي الأثام في الآية بمعنى استقبالها. وأما دلالة (يضاعف)، فإنها تنصب في معنى «الزيادة على أصل الشيء وجعله مثيله أو أكثر»[2].

فدلالة الفعلين في الآية مختلف، لاكما يرى الزمخشري من توحد المعنى، ومما يؤكد احتمالية معنى (يضاعف)، قراءة (يُضَعَّف ونُضَعِّف له العذاب)[3]، على النصب وقد رأى رأي الزمخشري ابن هشام، إذ جاء بالآية نفسها كمثال لإبدال الفعل من الفعل بدل كل من كل[4]، على حين كان البيت الشاهد وهو لعبيد الله بن الحر، ولم ينسبه له الزمخشري، واضحاً في كون (تلمم) بدلاً من (تأتنا) لما يتضمنه لفظ الإلمام من معنى الإتيان دون مواظبة[5].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن منظور، لسان العرب مادة (لقا)، ١٥ / ٢٥٦.

(٢) ابن منظور لسان العرب مادة (ضعف) ٩ /٢٠٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣ /١٠١، وانظر أيضاً الميسر في القراءات الأربعة عشرة، محمد فهد خاروف، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩٥، ص ٣٦٦.

(٤) ابن هشام، أوضح المسالك، ج٣/٤٠٧.

(٥) لسان العرب ٥٤٨/١٢.

المطلب السادس: التوكيد

والتوكيد في اللغة: «التوثيق والهمز فيه لغة»[1] ويستخدم التوكيد في الكلام لإخراج الشك، فإذا قلت كلمني أخوك تكليماً، فلا مجال حينها إلا أن يكون الأخ كلمك بعينه.[2] وهو في الاصطلاح على شكلين: لفظيٌ يكون بتكرار ما قبله[3] ومعنويٌ ألفاظه محصورة ولهذا «لم يحتج النحاة إلى تعريفه».[4]

أما شواهد التوكيد المختارة فهي:

والمؤمن العائذات الطير يرقبها ركبان مكة بين الغيل والسَّند

إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

وصاليات ككما يؤثفين

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

أنا أبو النجم وشعري وشعري

وأول شواهد التوكيد:

والمؤمن العائذات الطير يرقبها[5]

والبيت للنابغة أثبت الزمخشري شطره هذا ناسباً إياه، جاء به استشهاداً على جواز إضمار المؤكد في الآية ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾.[6]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣ /٤٦٧.

(٢) المرجع السابق، ٣ /٤٦٧.

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣ /٣٣٦.

(٤) محمد محيي الدين عبد الحميد، عدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، ٣ /٣٢٧.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٠٧.

(٦) سورة الملائكة، آية ٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذ يرى أن «من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك، قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة:... (البيت)، وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً، ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿ومن الجبال جدد﴾ بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يئول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال- ثمرات مختلف ألوانها-.[1]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٢٠٧.

إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم[1]

(بحر البسيط)

والبيت لجرير بن عطية[2] وقد نسبه الزمخشري على غير ما اعتاد، وجاء به استشهاداً على جواز إدخال «إن على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد»[3]، وذلك كما في الآية: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾[4].

ومن شواهد التوكيد أيضاً:

وصاليات ككما يؤثفين[5]

والقول لخطام المجاشعي، والكاف الثانية فيه «اسم بمنزلة مثل»[6] وكذلك في الآية: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾.[7]

فكأن المعنى (ليس كمثل الله شيء) فلك «أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال...»[8] (البيت)

ويرى الزمخشري أن «لافرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء- »[9] وأظنه أراد ليس كمثل الله شيء، إن استبدلنا الضمير بما يعود عليه لا كما قال (ليس كالله شيء) إذ أسقط (مثل) بمعناها الذي يفيد التوكيد مع الكاف الأولى التي للتشبيه وأظنه سها عنها.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٨، حنا، شاهد (٢٤٥١).

(٢) ديوان جرير، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٩٨، على رواية (يكفي الخليفة) بدلاً من (إن الخليفة) وبهذا يبطل البيت شاهداً.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣/٨.

(٤) سورة الحج، آية ١٧.

(٥) الزمخشري ،الكشاف ٣/٤٦٣.

(٦) ابن جني، الخصائص ٢/٣٧٠.

(٧) سورة الشورى، آية ١١.

(٨) الزمخشري، الكشاف ٣/٤٦٣.

(٩) الزمخشري، الكشاف ٣/٤٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن شواهده:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالدِ[1]

(بحر الطويل)

والبيت للأشهب بن رميلة، لم ينسبه الزمخشري، وجاء به استشهاداً على الآية: ﴿الم، ذلك الكتاب﴾[2]

وللبحث عن ارتباط ذلك الكتاب، بما قبلها، يبسط الزمخشري عدة طرق منها أن تكون ألم اسماً للسورة... مبتدأ، وذلك مبتدأ ثانياً، والكتاب خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول، «ومعناه: أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال».[3]

ومن التوكيد أيضاً قول الشاعر:

أنا أبو النجم وشعري وشعري[4]

والقول لأبي النجم العجلي، نسبه الزمخشري له، حين القول على الآية ﴿أصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون﴾[5].

والتكرار هنا يفيد التوكيد، فالسابقون هم نفسهم الذين «عرفت حالهم وبلغك وصفهم»[6] تماماً كقول الشاعر في البيت حيث المعنى «وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته...»[7].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/١١٢، حنا، (٧٤٨).

(٢) سورة البقرة، آية ١، ٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١ /١١١-١١٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٤/٥٢.

(٥) سورة الواقعة، آية ٩ ، ١٠.

(٦) الزمخشري، الكشاف ٤/٥٢.

(٧) الزمخشري، الكشاف ٤/٥٢، حنا حداد، معجم شواهد النحو الشعرية،، شاهد (٣٣٧٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب السابع: الاستفهام:

والاستفهام هو الاستخبار أي «طلب خبر ماليس عندك أي طلب الفهم، ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار ماسبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً؛ حكاه ابن فارس في «فقه العربية»»[1].

وشواهد الاستفهام هي:

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل

أفرح إن أرزأ الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلا

هل أنت باعثُ دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق

وأول هذه الشواهد:

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل[2]

حيث يقابل الزمخشري بين الآية والبيت السابق من حيث تركيب السؤال والجواب والآية:

﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾[3].

فالحياء «تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف مايعاب به ويذم» وليس معنى الحياء تماماً كما ظن الزمخشري، فإن «الحياء شعبة من شعب الإيمان» والمؤمن لا يفعل ما هو معيب أو مذموم بالكثرة التي تجعل التخوف منها شعبة من شعب الإيمان، وإنما قد يقع فيها المؤمن،

---

(١) الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية، د.ت، ج٢، ص٣٢٦.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١/٢٦٣.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليست في لسان العرب أية دلالة تشير إلى المعنى الذي اختاره الزمخشري، وأما معنى قول الرسول الكريم السابق، «إن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي».[1]

ويرى ابن الأثير فيما يرويه عن صاحب اللسان أن «الحياء جعل بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الاله به وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان».[2]

وهذا المعنى يختلف تماماً عن المعنى الذي ذهب إليه الزمخشري، من أن المستحي آثم وانطوى على فهمه هذا المعنى للكلمة حديث طويل عن جواز اتصافه سبحانه وتعالى بالاستحياء في الآية ﴿إن الله لا يستحي﴾ ، فهو يريد نفي المعنى المتضمن للانكسار والتغير عن الذات الإلهية، فيأتي بحديث شريف فيه معني الحياء ويؤوله على معنى يترك ويستخدم المعنى الثاني الذي استنتجه فيضمنه لمعنى الحياء في الآية، والحديث هو قول الرسول الكريم: «إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً»[3] فتأويل المعنى هنا على «سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد، وأنه لايرد يديه صفراً من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله (إن الله لايستحي) أي لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام:.....»[4] ويذكر البيت.

إذن يرجح الزمخشري معنىً شاهده حديث نبوي شريف وآخر شاهده قول بشري شعري خارج على عصر الاحتجاج، أما الأول ففيه بُعد قليل... وصعوبة في إدراك هذا الخفاء في

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج١٤، ص٢١٧، مادة (حيا).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢١٧/١٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢٦٣/١.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢٦٣/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعنى إذ يحتاج إلى غوص وافتراض لايخطر بالبال ، وأما المعنى الثاني الذي يفترض سؤال الكفرة إن كان الله لا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلاً، فهو جائز وأسرع الى الفهم، (وإطباق الجواب على السؤال) الذي قصده، يعني أن يظهر الجواب ويخفى السؤال أو يؤخر وهو أسلوب استفهامي خفي، ولهذا الخفاء كان أسلوباً بديعاً وطرازاً عجيباً كما وصفه الزمخشري وأما البيت والمقابلة بينه وبين الآية فكالآتي:

(سؤال) (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) تقابل (بناء المنزل)

(جواب) (إن الله لايستحي) تقابل (بناء الجار)

فبناء الجار لايصح قبل بناء الدار وكذلك الجواب قبل السؤال.

ويعلق الزمخشري على كل ذلك بقوله «ولله در التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها، لاتكاد تستغرب منها فناً إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسدّ مدارجه».[1]

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٦٤/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنـــــرح إن أرزأ الكرام وأن أورث ذوداً شـصـائصـاً نبـلا[1]

والبيت لحضرمي بن عامر[2]: ولم ينسبه الزمخشري، جاء الشاهد ليبين معنى همزة الاستفهام التي في معنى الإنكار في قوله تعالى:

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا، قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما﴾.[3]

والزمخشري هنا يناقش رأي الحسن في أنّ الفعل (اكتتبها): «قول الله سبحانه يكذّبهم»[4] لكنه -الزمخشري- يعترض بقوله: «وأنما يكون نحو قوله: .... «البيت»[5] لكنّ قراءةً قرآنية لم تنزل بهمزة الاستفهام تلك التي يوجه بها الزمخشري الآية، وإنما يجوز المعنى على ما أراد دونما أي همزة محققة، فالاستفهام قد يكون بتنغيم خاص يقرأ ولا يكتب، وعلى هذا أرى الآية والاستفهام فيها، وجواب الاستفهام الآية التي تتلوها، وقد أورد الزمخشري أراء أخرى منها أنه أراد اكتتبها فأمليت عليه أو اكتتبت له وهو أمي فأمليت عليه[6].ولكن معنى الاستفهام أرجح لما في الآية التالية لها من معنى الجواب وحذفت الهمزة لوضوح المعنى، وكذلك حذفت كلمة (ويلك) من صدر البيت الشاهد لدلالة الحال. فالألف في أفرح تفيد استفهاماً استنكارياً يفيد إبطال الكلام.[7]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٨٢/٣.

(٢) المرزوقي ، مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، ٩٩.

(٣) سورة الفرقان ، الآيات ٥، ٦.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٨٢/٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٨٢/٣.

(٦) الزمخشري، الكشاف ٨٢/٣.

(٧) محب الدين أفندي ، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ص٤٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن شواهد الاستفهام كذلك:

هل أنت باعثُ دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق[1]

والبيت لتأبط شراً[2]، والاستفهام فيه لدلالة الاستحثاث والآية ﴿فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾.[3]

فإن المراد من سؤال الناس عن اجتماعهم إنما هو الاستحثاث على الانطلاق[4]، وهو نوع من الاستفهام الذي بمعنى الإنشاء[5]، وله عدة معانٍ منها مجرد الطلب، والنهي والتحذير والتذكير والتنبيه والترغيب والتمني والدعاء وغيرها، أما المعنى الذي في الآية والبيت الشاهد على السواء فهو التحضيض وهو يشبه العرض في أنهما طلب، بيد أن التحضيض طلبٌ بشق والثاني طلب برفق.[6]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ١١٢/٣.

(٢) تأبط شراً، انظر الأعلام للزركلي ٩٧/٢.

(٣) سورة الشعراء: آية ٣٨ -٣٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١١٢/٣.

(٥) الزركشي، البرهان ٣٣٨/٢.

(٦) الزركشي، البرهان ٣٣٨/٢.

المطلب الثامن: التعريف والتنكير

والأصل في الاسم أن يأتي نكرة فهي الأسبق ولا تحتاج في دلالتها على معنى إلى قرينة، بخلاف الاسم المعرفة الذي يحتاج القرينة[1]، ولتعريف النكرة عدة طرق منها إدخال (أل) لمن يقبلها، أو مايقع موقع من يقبلها وغيرها[2].

ورب بقيع لو هتفت بحوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا[3].

والبيت للأعشى، نسبه اليه الزمخشري، يبحث عن سبب تنكير (نفس) في الآية:

﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون، أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾[4].

ودلالة التنكير كما يراها الزمخشري إما للتبعيض أي بعض الأنفس، وهي نفوس الكفرة أو أن يراد نفس مميزة من الأنفس، أو أن يراد كثرتها كما قال الأعشى[5]، فمعنى البيت أن يهب الكثير من الكرام لنجدته على أن معنى (أن تقول): مخافة أن تقول: فاتباع أحسن ما أنزل يقي من قول النفس وتحسرها.

---

(١) عدة المسالك الى أوضح المسالك، ٨٣/١.

(٢) المرجع السابق ٨٣/١-٨٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٤٠٤/٣.

(٤) سورة الزمر، آية ٥٦.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٤٠٤/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن شواهد التعريف والتنكير:

لئن كان يهدي برد أنيابها العلي لأ فقر مني إنني لفقير[1]

التنكير في قول كثير عزة السابق يقابل التنكير في قوله تعالى: ﴿وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[2].

ويعود الزمخشري لتكرار استشهاده بآبيات شعرية دون حاجة ماسة إليها، فمعنى الآية بالتنكير هو الخيار الوحيد، ولامعنى لو كانت معرفة، إذ يذهب رونقها ويضيع المعنى فالتنكير أفاد دلالة بلوغ الاستقامة قمتها، والفقير في البيت بالغ الفقر حقيق بأن يوصف به.فتحصل «في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة».[3]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٢٨.

(٢) سورة يس، أية ٦١.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦، ٢ / ٢٨٦.

المطلب التاسع: التعجب:

ومعناه اللغوي «إنكار مايرد عليك لقلة اعتياده»[1] وعرّفه بعضهم بأنه «انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفي»[2]، وأما المعني الاصطلاحي فينسب لابن عصفور وهو «استعظام زيادة في وصف الفاعل خَفِيَ سببها وخَرَجَ بها المتعجب منه عن أمثاله أو قل نظيره فيها»[3] وللتعجب أدوات معروفة مضبوطة وقد يُخرجُ عليها أحياناً لأسباب وأول شواهد التعجب

وجـارة جـــاس أبأنا بـنابهـا كليـبـاً غلت ناب كليب بواؤها[4]

وقد استشهد الزمخشري بهذا البيت غير معروف القائل، على معنى التعجب من غير لفظه، كما في الآية:

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾[5]

فالتعجب يتضمنه اللفظ (كبُر)، ففيه التعجب من غير لفظه، تماماً كما في البيت وذلك في شطره الثاني، واستشهد بالبيت نفسه على الآية:

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيرا﴾[6]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١/٥٨٠.

(٢) عدة السالك ٣/٢٥٠.

(٣) المرجع السابق ٣/٢٥٠.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٤/٩٧و ٣/٨٨.

(٥) سورة الصف، آية ٢. ٣.

(٦) سورة الفرقان، آية ٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالفعل استكبروا معناه «ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب»[1]

وسأكتفي بالقدر السابق من الأساليب التركيبية النحوية فإن الذي تبقى سد مسده ما مضى، ولنا في الحديث على الأساليب التركيبية النحوية ذات الدلالات البلاغية كلام:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٨٨.

المبحث الخامس: شواهد الأساليب التركيبية النحوية ذات الدلالات البلاغية:

المطلب الأول: الحذف

الحذف لغة يتضمن معنى القطع، والطرح والإسقاط والقطف[1] أما في الاصطلاح فهو «اسقاط جزء الكلام أو كله لدليل»[2]، وهو نوع من أنواع المجاز[3] «ويكون بحذف مالا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علوّ بلاغته..... ولا بد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال».[4] وقد عد ابن جني الحذف من «شجاعة العربية» بالإضافة إلى الزيادة، والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتعريف».[5]

وفي القرآن الكريم «ينبغي تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل ..... ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها، ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن في التنزيل لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث».[6]

وشواهد الحذف هي:

ترتع مارتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوباً ولاطالباً

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

وأول شواهد الحذف:

ترتع مارتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ٩/٤٠ مادة (حذف)

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣/١٠٢.

(٣) المرجع السابق ٣/١٠٣.

(٤) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية ، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٥، ١ /١٧٧-١٧٨.

(٥) ابن جني، الخصائص ٢ /٣٦٢.

(٦) التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، ٢ /٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والبيت للخنساء، نسبه إليها صاحب الخزانة[1]، وهو من شواهد سيبويه كذلك على الاية:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة. . .﴾.[2]

فتأويل ﴿لكن البر﴾ على «حذف المضاف أى بر من آمن، أو بتأويل البر بمعنى ذي البر»[3] أو كقول الخنساء في البيت السابق، على تأويل مضاف محذوف أي ذات إقبال»[4] وهو تشبيه من نوع لا يمكن معه تقدير أداة محذوفة[5] ويوجه الزمخشري البيت توجيهاتٌ آخر غير الذي ذهب إليه البغدادي، حيث يراه على «الإسناد المجازي بدعوى أن المتقي هو عين البر، بجعل المؤمن كأنه تجسُّدٌ من البر»[6]. ولأن «حذف المضاف ضربٌ من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ»[7] كان تقدير بر من اتقى أجود.

ومن الحذف كذلك ما جاء في بيت طرفة بن العبد.[8]

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي[9]

فقد استشهد به الزمخشري على آيتين هما:

الأولى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى. . .﴾[10].

الثانية: ﴿لايسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب﴾.[11]

---

(١) البغدادي، خزانة الأدب ١/٤٣١.

(٢) سورة البقرة، آية ١٧٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١/٣٣٠.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب ١/٤٣١.

(٥) ابن أبي الأصبع، تحرير التحرير، ص ١٦١.

(٦) البغدادي، خزانة الأدب ١/٤٣١

(٧) ابن جني، الخصائص ٢ /٣٦٢.

(٨) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٨، على رواية (اللائمي) بدلاً من (الزاجري).

(٩) الزمخشري، الكشاف ١ /٢٩٣ و٣ /٣٣٦، حنا حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد (٨٠٣).

(١٠) سورة البقرة، آية ٨٣.

(١١) سورة الصافات آية ٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما موطن الاستشهاد في البيت حسب رأي الزمخشري فسقوط أن قبل الفعل (أحضر)، بدليل ظهورها في تركيب العطف اللاحق، وفي الآية الأولى حذفت أن قبل الفعل تعبدون وسقط عملها فثبتت نون الفعل [1] وظل مرفوعاً وفي قراءة عبد الله بن مسعود ظهرت (أن) وحذفت نون الفعل.[2] وهذه القراءة تؤيد التوجيه القائل بحذف أن .

وفي الآية الثانية قدّر الزمخشري معنى حذف أن، واللام احيث كان الأصل (لئلا يسمعوا) فحذفت اللام أولاً كما في قولك جئتك أن تكرمني ، ثم حذفت أن وسقط عملها كما في البيت تماماً[3] ، فإن اجتماع الحذفين «منكر من المنكرات على أنّ صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب»[4].

ومن شواهد الحذف كذلك:

فـقلت يمين الله أبرح قـاعـداً ولو قطعوا جسمي لديك وأوصالي[5]

(بحر الطويل)

وهو بيت شاهد معروف لأمرئ القيس[6]، شاهد على جواز حذف حرف النفي، جاء به الزمخشري على الآية:

﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾[7]

حيث أراد «لاتفتؤ، بحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس أي لتفتؤن بالإثبات، لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون»[8].

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٩٣/١.
(٢) الزمخشري، الكشاف ١ /٢٩٣.
(٣) الزمخشري، الكشاف ٣ /٣٣٦.
(٤) الزمخشري، الكشاف ٣ /٣٣٦.
(٥) الزمخشري، الكشاف ٢ /٣٣٩، حنا، شاهد (٢٢١٢).
(٦) ديوانه، ص ٨٧، على رواية (رأسي) بدلاً من (جسمي).
(٧) سورة يوسف، آية ٨٥.
(٨) الزمخشري، الكشاف ٣٣٩/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليس الحذف هنا إلا ليدل على معنى معين وكما قال عبدالقاهر الجرجاني: «ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره»[1] فكيف إذا كان الحذف في كتاب الله، إنه بلا شك لن يلتبس المعنى في الحذف، فضلاً عن الجمالية اللفظية.

فإن المعنى لا يفيد الإثبات فحق اللفظ في حالة الإثبات أن يأتي باللام قبل الفعل والنون في آخره جواباً للقسم، ولم يأتِ كذلك ومن هنا اعتبرنا سقوط (لا).[2]

حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوباً ولاطالباً[3]

(بحر الكامل)

والبيت نسبه الزمخشري لأوس بن حجر[4] على قلة ما ينسب، وقيل للنمر بن تولب، جاء به استشهاداً على جواز حذف اللام في الآية:

﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾[5]

حيث حذفت اللام من جعلناه ، لأن (لو) دخلت على «جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلُّق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عامله مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقاً من حيث إفادتها في مضمون جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول»[6] وتبين هنا بلاغة التركيب وحلاوته في اللفظ بين أن تقرأ الآية بالحذف أو بثبوت اللام فهي بثبوتها مجوجة لتكرارها دونما إضافة معنوية ظاهرة.

---

(١) الزركشي، البرهان ٣/١٠٥.

(٢) تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ٤٩٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٤/٥٧.

(٤) أوس بن حجر: أنظر، ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص ٣، قصيدة رقم ١، بيت ١٦، آخره طلبا.

(٥) سورة الواقعة، آية ٧٠.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٤ /٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي البيت حذف الشاعر (لم أرَ)، فإن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما[1] في الآية والشاهد.

ومن الحذف أيضاً

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها[2]

والبيت مجهول القائل، استشهد به الزمخشري على حذف الباء من قوله تعالى:

﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون، الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾.[3]

فالمعنى لايستقيم إلا على تقدير حذف الباء ويؤيد هذا المعنى قراءة أحدهم، (وبالسلاسل) أي بثبوت الباء وكذلك البيت حذفت منه الباء قبل مصلحين، وهي واجبة بعد ليست.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٤/٥٧.

(٢) الزمخشري،الكشاف ٤/٤٣٦.

(٣) سورة المؤمن (غافر) آية ٦٩، ٧٠، ٧١.

المطلب الثاني: معاني الحروف

وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها إلى الضيف يجرح في عراقيبهانصلي[1]

(بحر الطويل)

والبيت لذي الرمة[2]، استشهد به الزمخشري على معنى (في)، في الآية:

﴿. . . قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾[3].

فكأن لفظ «في» في الآية زائد ومعناه موجود في التركيب بدونه، إذ المعنى أصلح لي ذريتي، دون حاجة إلى في، لهذا يجور الزمخشري التركيب ليبرر وجود في على «هب لي الصلاح في ذريتي»[4]

ويكرر الزمخشري استشهاده بنفس البيت في الآية:

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾[5].

وهنا أيضاً تعدى الفعل بحرف جر وهو لايلزم له، إذ التزيين يكون واقعاً على الشيء مباشرة، إلا أن وجود اللفظ يتطلب البحث عن معنى يقابله، خاصة في كتاب الله، ولهذا يرجح الزمخشري معنى لأوقعن تزييني في الأرض حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها[6] ،كذلك معنى البيت فالنصل يجرح العراقيب، ولكن دلالة «في» في البيت تؤكد المكان، إذ إن مكان الجرح في العراقيب ومكان التزيين في الأرض ومكان الصلاح في الآية الأولى في الذرية.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٥٢١.

(٢) محمد عليان المرزوقي، مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، ٩٧.

(٣) سورة الأحقاف، آية ١٥.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٣ /٥٢١، حنا حداد معجم شواهد النحو الشعرية ، شاهد (٢٣٧٣).

(٥) الحجر: آية ٣٩

(٦) الزمخشري، الكشاف ٢ /٣٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن المعاني التي يخرج إليها حرف الجر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به والخير والشر عند الله مثلان[1]

والبيت مختلف في نسبته فهو إما لعبد الرحمن بن حسان أو لعبد الله بن حسان أو لكعب بن مالك الأنصاري[2]، جاء به الزمخشري استشهاداً على جواز حذف الجار في الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾.[3]

والمقابلة بين البيت والآية في حذف حرف الجر، فالخير الأولى في البيت في حكم المجرور لسقوط (الباء) الجارة وكذلك في الآية، فإن الفعل (تؤمر) بحاجة إلى تتمة وهي الشيء المأمور به، فسقطت كذلك الباء الجارة، وكما يحذف المضاف والفعل والجملة يحذف الجار، «واشترط ابن مالك في حذف الجار أمن اللبس».[4]

ولست أرى التطرق للكثير من الحديث على معاني الحروف لازماً إذ هو باب متسع وكثير الشذوذ لا اطّراد فيه، يخرج فيه الحرف الواحد أحياناً على المعنى الأصلي إلى الكثير من المعاني ولاتراك تقرأ بتلك المعاني ولا تنطق، إنما هي دلالات آنية يشار إليها بها.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢ /٢٩٩.

(٢) المرزوقي، مشاهد الإنصافعلي شواهد الكشاف ١٢٧.

(٣) سورة الحجر آية ٩٤.

(٤) الزركشي، البرهان ٣ /١١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: التقديم والتاخير

وهو أسلوب تركيبي يختص بالتلاعب في رتب الكلام، تلاعباً مقصوداً فإن العرب «أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق»[1]، ويشترط فيه أن لا يختل سياق الكلام ولا المعنى، وفي القرآن الكريم، هو أسلوب معروف، وقد ورد كثيراً لمناسبة الفاصلة القرآنية أو لتعظيم الخبر والاهتمام به أو أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه وهو المقصود لذاته أو لإرادة الاختصاص وغيرها الكثير من المعاني[2].

وأول شواهد هذا الأسلوب:

نقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما[3]

والبيت مختلف في قائله، فهو إما «سمير بن الحرث الضبي، وقيل لتأبط شراً وقيل لشمر الغساني وقيل للفرزدق»[4]، والتقديم تم في تركيب الجار والمجرور حيث تأخر فريق وحق التركيب أن يكون (فقال فريق منهم)، وأما الآية التي استشهد عليها فهي:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[5]

فإن القصد، بسم الله أبدأ أو أقرأ أو أتلو، وهي كلها مقدرة لكنها مؤخرة، إذ قول (بسم الله) يسبق كل فعل وكل فاعل شيئاً يقدر فعله، وهذا المقدر متعلق بالباء وللأهمية التي لاسم الاله قدم وأخر فعل الفاعل. وأما تقديم (منهم) في البيت فللأهمية، فإنهم فريق من الجن زعموا، وللبيت قصة وهي من أكاذيب العرب.[6]

(١) الزركشي، البرهان ٣ /٢٣٣.

(٢) المرجع السابق ٣ /٢٣٣-٢٣٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١ /٢٨.

(٤) محمد عليان المرزوقي الشافعي، مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص١٠٧، على إبدال (زعيم) مكان فريق.

(٥) الفاتحة

(٦) مشاهد الإنصاف، ص ١٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويفسر الزمخشري سبب تقدير المحذوف متأخراً في قوله تعالى: لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به، «لأنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجد أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الاله عزوجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل»[1].

ومن التقديم والتأخير قول القائل:

خذا بظن هرشى أو قفاها كلا جانبي هرشى لهن طريق[2]

(بحر الطويل)

والبيت لعقيل بن علفة ونسبه صاحب مشاهد الانصاف لأعرابي[3] وليس هذا البيت بالشاهد، إنما تعليق الشاعر على من قال له حين قرأ الآية ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يفعل مثقال ذرة شراً يره﴾.[4]

وأخر ﴿خيراً يره﴾، يقصد بالبيت أنك إن تسلك طريق هرشى الأولى كما لو أنك تسلك طريقها الثانية، وكذلك الآية، إنه لايميز أن للتنزيل العزيز ألفاظاً محفوظة الترتيب، لاتتبدل مواقعها وإن ظل المعنى واحداً.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/٢٩. ٣٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٤/٢٧٦.

(٣) المرزوقي ، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ٤٧٠.

(٤) سورة الزلزلة، آية ٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن شواهد التقديم والتأخير:

ألا إن خير الناس حياً وهالكاً أسير ثقيف عندهم في السلاسل[1]

والبيت لأبي الشغب العبسي[2] إنما موضع الاستشهاد فيه تقديم خبر إن على اسمها كما في الآية:

﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾.[3]

والمقابلة بين الآية والبيت هكذا:

(إن خير الناس) تقابل (إن خير من استأجرت)

(أسير ثقيف) تقابل (القوي الأمين)

وسبب تقديم الخبر في الآية، والبيت على السواء الأهمية فإن السبب في استئجار ذلك القوي الأمين أنه أخيرهم، وكذلك أسير ثقيف، فإنه خير الناس حياً وهالكاً، وكفى بشخصٍ هذه صفته أن يقدم. ورأى الزمخشري أن سبب التقديم العناية وهذا صحيح بالاضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية فإن نهاية الآية السابقة لها التالية:

القوم الظالمين..... القوي الأمين.... من الصالحين ولو إذا قال: «إن القوي الأمين خير من استأجرت» لظل المعنى قائماً، لكنه التركيب القرآني يأبى أن يساير كلام الناس، فكان هذا التقديم.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١٧٢/٣.

(٢) تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ص ٤٩٩.

(٣) سورة القصص، آية ٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الأساليب التركيبية ذات الدلالة البلاغية إفراد ما حقه التثنية والشاهد عليه:

ألكني إليها وخير الرسو ... لـ أعلمهم بنواحي الخبر[1].

والبيت لأبي ذؤيب[2]، لم ينسبه إليه الزمخشري، استشهد به على جواز إفراد ماحقه التثنية لغرض بلاغي معين، كما جاز في قول العرب معاملة المفرد على أنه جمع وهو ما في مضمون البيت الشاهد والآية هي:

﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون، فاتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾[3]

حيث إن الخطاب ابتدأ بصيغة المثنى واستمر في غير كلمة ليصير إلى مفرد في قوله «إنا رسول» وحق القول إنا رسولا، وذهب الزمخشري إلى أن يخرج معنى الرسول على الرسالة ليتم له تبرير هذا الإفراد، فإنه إن كان بمعنى الرسالة جازت التسوية فيه، إذ وصف به بين الواحد والتثنية والجمع»[4]

ومن تلك الأساليب أيضاً معاملة المثنى كالجمع أو العكس والشاهد عليه قوله:

ومهمهين قذفين مرتين
ظهراهما مثل ظهور الترسين
جبهتما بالنعت لا بالتعتين[5]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١٠٧/٣.

(٢) المرزوقي، مشاهد الإنصاف، ٥٣.

(٣) سورة الشعراء، آية ١٥، ١٦.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١٠٧/٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٥٥٩/٢، ذكر الشطر الأوسط فقط.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البيت لخطام المجاشعي وقيل لهميان بن قحافة، نسب هذا صاحب مشاهد الإنصاف[1]، وذلك على جواز معاملة المثنى كالجمع، استشهاداً على الآية:

﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾[2]

فإن للنهار طرفين فقط لا أطراف، فأجري المثنى مجرى الجمع في الآية كما أن في البيت عومل المثنى معاملة المثنى مرة ثم الجمع، قيل كراهة تتالي تثنيتين في اللفظ، هذا قول النحاة[3]، والتفسير بكراهة تتالي تثنيتين جائز ومقبول اذ استكرهت العرب تتالي المتشابهات إن في الحركة أو الحرف أو الكلمات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) المرزوقي، مشاهد الانصاف، ١٣١.

(٢) سورة طه ، آية ١٣.

(٣) المرزوقي، مشاهد الانصاف، ص ١٣١.

المبحث السادس: شواهد الأساليب البلاغية:

المطلب الأول: الاستعارة

والاستعارة أسلوب بلاغي يتم عن طريقه استعارة «الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي».[1] وعدها أكثر البلاغيين من باب المجاز اللغوي.[2] وتكون الاستعارة بأن «تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به».[3]

استشهد الزمخشري بأكثر من بيت على التركيب الاستعاري وهي:

ياشاة ما قنصت لمن حلت له ... فرميت غفلة عينه عن شاته

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّف ... له لبد أظفاره لم تقلم

ويصعد حتى يظنّ الجهول ... بأنّ له حاجة في السماء

لا تحسبوا أن في سربالِه رجلاً ... ففيه غيثٌ وليثٌ مسبل مشبل

أسدٌ علي وفي الحروب نعامةٌ ... فتخاء تنفرُ من صفير الصّافر

---

(١) الزركشي، البرهان ٣/٤٣٣.

(٢) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٩١.

(٣) أبو بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص ٣٦٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأول شواهد الاستعارة:

ياشاة ما قنصت لمن حلت له فرميت غفلة عينه عن شاته[1]

وذلك في دلالة وحقيقة شاته، في البيت السابق استشهاداً على الآية: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾[2].

حيث يرى الزمخشري أن «كلامهم كان تمثيلاً لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ... وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللتستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون نعجة فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه، وحاجّه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، الدليل عليه قوله- وإن كثيراً من الخلطاء- وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة. فإن قلت: إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم؟ قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة استعاروا كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله.....»[3] ويذكر البيت.

وإنما وجه الاستشهاد هنا على أن الشاة ليست بالحقيقة بل مستعارة للمرأة، وتتمة الآية تجيز وجه الحقيقة ووجه المجاز فإن الخطاب في الآية يكون من الجدال، أي تجادلا، أو من الخطبة بمعنى طلب المرأة.[4]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٦٩.

(٢) سورة (ص)، آية ٢٣.

(٣) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٦٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّف

له لبـــد أظفـــاره لـم تقلم[1]

والبيت لزهير بن أبي سلمى، نسبه له الزمخشري، يستشهد به على الاستعارة في الآية:

﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يَرجعون﴾.[2]

إذ يتساءل عما إذا كان من الجائز تسمية تركيب (صمٌ بكمٌ عميٌ) استعارة أم لا، فالأغلب «على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون، والاستعارة إنما تطلقُ حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يُراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير.....»[3] (البيت).

ولا يكتفي الزمخشري بهذا البيت لبيان ما في الآية من معنىً لطيف، فيأتي بثلاثة أبيات أخر هي:

ويصـعد حـتى يظنّ الجـهول بأنّ له حـاجـة في السـمـاء[4]

لا تحسبوا أن في سربالِه رجلاً فنفيه غيثٌ وليثٌ مسبل مشبل[5]

أسدٌ علي وفي الحروب نعامةٌ فتخاء تنفرُ من صفير الصّافر[6]

أما البيت الأول فقد نسبه الزمخشري لأبي تمام، و الثاني نسبه صاحب تنزيل الآيات على شواهد الكشاف للزمخشري[7]، فيما ذكر الزمخشري أنه لبعضهم، و الثالث لعمران بن حطان و لم ينسبه الزمخشري، و الأبيات كلها شواهد على الآية نفسها، فإن البيت الأول يتضمن

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/٢٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١/٢٠٦.

(٥) الزمخشري، الكشاف ١/٢٠٦.

(٦) الزمخشري، الكشاف ١/١٠٦.

(٧) محب الدين أفندي، تنزيل الآيات علي الشواهد من الأبيات، ص ٤٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استعارة في كلمة يصعد، استعارها لعلو القدر و المنزلة و بنى على هذا المعنى الخفي الشطر الثاني ، و هو الترقي للسماء، وكذلك البيت الثاني، استعار للممدوح غير المذكور صفة الكرم والشجاعة وغفل عن التشبيه وبنى على استعارة صفة الكرم والشجاعة الليث والغيث... وأما ثالث الأبيات فالأسد بمعنى الشجاعة والنعامة مستعارة للجبن.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني :التشبيه

المعنى اللغوي مشتقٌ من الشبه وهو المثل[1] ومن الأخير اشتق التمثيل، وفي الاصطلاح:«التشبيه: التمثيل، أي أن اللغويين لم يفرقوا بين «التشبيه» «والتمثيل» وإلى ذلك ذهب بعض البلاغيين كالزمخشري وابن الأثير ونعى الأخير على العلماء الذين فرقوا بينهما وعقدوا لكل منهما باباً مع أنهما شيء واحد ولا فرق بينهما في أصل الوضع اللغوي».[2] وهو أيضاً «ربطٌ بين شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر»[3].

ومن شواهد الزمخشري على التشبيه:

ويوماً توافينا بوجهٍ مقسّم كأن ظبيةٌ تعطو إلى ناضر السلَم[4]

(بحر الطويل)

والبيت للباعث بن صريم اليشكري[5]، جاء به مستشهداً على جواز التشبيه بـ (كأنْ) مع حذف اسم أن في الآية:

﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذابٍ اليم﴾.[6]

فالبيت على تقدير (كأنها ظبية) والآية على تقدير (كأنه لم يسمعها)، فحذف اسم أنّ وأبقى خبرها. وتقدير المعنى في الآية أنه صار «مثل غير السامع».[7]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٥٠٣/١٣، مادة (شبه)

(٢) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٢ /١٦٦.

(٣) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص ٣٢٤.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٥٠٦/٣ وفي رواية الخزانة وارق بدلاً من (ناضر). وهو من أبيات سيبويه ٢/ ١٣٤.

(٥) محب الدين أفندي تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، ٥٤٠.

(٦) سورة الجاثية آية ٨.

(٧) الزمخشري، الكشاف ٣ /٥٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن التشبيه قولهم:

ترمـــون بـالخطب الطـوال وتارةً وحيَ الملاحظ خـيـفـةَ الرّقـبـاءِ[1]

أذاكَ أم نمشٌ بالـوشي أكـرعـــه أذاك أم خـاضـبٌ بالسيّ مـرتـعُـه[2]

ومـا الناس إلاّ كـالـديار وأهلهـا بهـــا يـوم حلوها وغـــدوا بلاقع[3]

أما الأول فللجاحظ، والثاني لذي الرمة وقد نسبهما الزمخشري، وأبقى الثالث بلا نسبة، وهو للبيد بن ربيعة استشهد بها كلها في تشبيه الكافرين بالصيّب في الآية:

﴿أو كصيبٍ من السماء فيه ظلمات﴾[4]

فقد قدّر الآية على معنى (أو كمثل ذوي الصيب) يقول: «ولولا طلب الراجع في قوله تعالى - يجعلون أصابعهم في آذانهم، ما يرجع إليه لكنت مستغنياً عن تقديره، لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أو لي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله..... ومما هو بيّنٌ في هذا قول لبيد .... لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاءً خاوية».[5]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١ /٢٠٧.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١ /٢٠٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١ /٢١٣.

(٤) سورة البقرة ، آية ١٩.

(٥) الزمخشري، الكشاف ١ /٢١٣-٢١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: الإشارة إلى المؤنث بالمذكر

وهو بابٌ لا اطراد فيه، ضيقٌ يأتي في النثر كما يأتي في الشعر على قلةٍ وله عند سماعه دلالات بلاغية يُخرج فيه على المألوف، فحق الأنثى أن يُشار إليها بالمؤنث لا بالمذكر كما في قول القائل:

نبّئتُ نُعمى على الهجران عاتبةً

سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري[1]

والبيت نسبه الزمخشري للنابغة الذبياني، استشهد به على جواز الإشارة إلى المؤنث بالمذكر، في الآية: ﴿الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.[2]

فاسم الإشارة ذلك يشير إلى «مؤنث وهو السورة»[3] كما يرى الزمخشري، ولا أعرف على أي شيء اتكأ حين رجّح أن المشار إليه هو السورة، إذ اختلفت التفسيرات فيما عسى ذلك (الكتاب) يكون، وذكر الماوردي في تفسيره ثلاثة تأويلات هي:«

أحدهما: يعني التوراة والإنجيل ليكون إخباراً عن ماضٍ.

والثاني: يعني ما أنزل من القرآن قبل هذا بمكة والمدينة...

والثالث: يعني هذا الكتاب، وقد يستعمل ذلك في الإشارة إلى ماضٍ وإن كان إلى غائب. قال خفاف بن ندبة:

أقول له الرمح يأطر متنه تأمل خفافاً إني أنا ذلكا».[4]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١ /١١٠.

(٢) سورة البقرة آية (٢).

(٣) الزمخشري، الكشاف ١ /١١٠.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي البصري، النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ٦٧/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا أرى أياً من الآراء السابقة مقنعاً، فإن وقوع هذه الآيات في بداية كتاب الله، تتلو فاتحته مباشرة ترجح أن المعنى ذلك الكتاب أي القرآن الكريم كله بكل ما يحوي مكيه ومدنيه، يبطل ما عداه من الكتب المنزلة السابقة، ويثبت نفسه بهذه الصيغة التركيبية المعرفة. ولست أدري ما دفع الزمخشري لأن يذهب ذلك المذهب -أي أن يفترض المشار إليه السورة-.

والشاهد في البيت واضحٌ في أن المشار إليه مؤنث وهي نعمى، أشير إليها بـ (ذاك) الذي أصله للمذكر، ويتوصل الزمخشري إلى حل الإشكال بتقدير صفة (نعمى) تكون مذكراً، فكأن المعنى نعمى ذلك الشخص العاتب الزاري.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الرابع: الالتفـــات

والالتفات أسلوب بلاغي تكلم عليه القدماء وعرفه ابن المعتز بأنه «انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك من الالتفات إلى الإنصراف عن معنىً يكون فيه إلى معنى آخر».[1] ويرى الزمخشري في الالتفـات: «أن العرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوبٍ إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطريةً لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه».[2]

وفسره قدامة بن جعفر بقوله: «أن يكون المتكلم آخذاً في معنى يسأله عن سببه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي الشك فيه أو يؤكده».[3]

تطاول ليلك بالإثمـــد ونامَ الخليُّ ولم ترقـــدِ

وبات وباتت له ليلةٌ كليلة ذي العائر الأرمـــدِ

وذلك من نبـــإٍ جـــاءني وخُبِّـــرتُهُ عن أبي الأســـودِ[4]

(بحر المتقارب)

والأبيات لامرىء القيس، أوردها الزمخشري منسوبة إليه، مستشهداً بها على الالتفات في الآية: ﴿مَلِكِ يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين﴾.[5]

فالآية تحتوي التفاتاً من الإخبار إلى المخاطبة، إذ ذكر هذه الآية بعد قوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وفيها الإخبار، ثم انتقل إلى المخاطبة، بينما جمع «امرؤ القيس الالتفاتات

---

(١) عبدالله بن المعتز، كتاب البديع، مكتبة المثنى، بغداد، ط٢، ١٩٧٩، ص٥٨.

(٢) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص ٢٠٩.

(٣) بن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة ١٣٨٣هـ، ص١٢٣.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١ /٦٤.

(٥) سورة الفاتحة آية (٤، ٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثلاثة في ثلاثة أبيات متتاليات»[1] وهي الشاهد وهي:

- الانصراف عن المخاطبة إلى التكلم في البيت الأول.
- الانصراف عن الخطاب إلى الإخبار في البيت الثاني.
- الانصراف عن الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث.[2]

ويرى الزمخشري أن ذلك «على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إياك يا من هذه صفاته تخص بالعبارة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون التميز الذي لا تحق العبادة إلا به. فإن قلت: لِمَ قرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته».[3]

---

(١) ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التحبير ١٢٤.

(٢) ابن أبي الإصبع المصري تحرير التحبير ١٢٥.

(٣) الكشاف ١ /٦٤، ٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن شواهد التمثيل وهو عند الزمخشري عينُ التشبيه:

إذا قالت الأنساع للبطن الحق

قالت له ريح الصبا قرقار[1]

والبيت مجهول القائل استشهد به على التمثيل في الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة. . . .﴾.[2]

فإن قول الله تعالى لهم وجوابهم من باب التمثيل والتخييل، «معنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى».[3] «وكذلك البيت، فإن الريح قالت وهي لا تنطق، ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى».[4]

وهذا من باب التمثيل والتخييل كما يرى الزمخشري.

---

(١) الكشاف ٢ /١٢٩.

(٢) سورة الأعراف آية

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢ /١٢٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢ /١٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد[1]

والبيت لابن الرومي نسبه إليه الزمخشري مستشهداً به على الآية: ﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.[2]

لأن الشيطان يغوي الطفل حين خروجه من بطن أمه وهو «تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه»[3]، والبيت ينطوي كذلك على تصوير وتخييل فإن سبب بكاء الطفل صروف الدنيا والشيطان من بينها.

وفي إطلاق الزمخشري لفظ التخييل أو التصوير نظرة شاملة للصورة حيث ينظر إليها بكليتها ليتوصل إلى المعنى الذي هو طالبه وساعياً لمعرفته.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ١ /٤٢٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٣٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١/٤٢٦.

الفصل الثالث

ملامح النقد عند الزمخشري

المبحث الأول: الاستشهاد عند الزمخشري.

المبحث الثاني: مفاهيم الزمخشري النقدية من خلال الشواهد المدروسة

- مفهوم المعنى عند الزمخشري.

- مفهوم التشبيه عند الزمخشري.

- مفهوم الاستعارة عند الزمخشري.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: الاستشهاد عند الزمخشري

لقد اتخذ الفصل السابق منحىً وصفياً بعض الشيء من حيث إنه عرض الآيات القرآنية على الأبيات الشعرية ليخلص إلى وجه الاستشهاد في كل حالةٍ مفردةً، وفي هذا الفصل سأتصدى للأبيات بمجموعها من عدة نواحٍ هي:

الأولى: الشواهد الخارجة على عصر الاحتجاج.

الثانية: الشواهد مجهولة القائل.

الثالثة: الاستشهاد بشطرٍ من البيت أو أقلّ.

الرابعة: الاستشهاد بأكثر من بيت على نفس القضية.

الخامسة: الاستشهاد بشعر شاعر أكثر من غيره.

السادسة: نسبة الشواهد إلى قائليها.

السابعة: الاسترسال في التعليق على بعض الشواهد.

الثامنة: تنوّع صِيَغ الاستشهاد.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأولى: الشواهد الخارجة على عصر الاحتجاج

سبق أن ألمحت في الفصل الأول إلى خروج الزمخشري على الإطار الزمني المحدد للاستشهاد وأنه تجاوز ذلك الخروج بالاستشهاد بأكثر من شعر شاعر[1] كأبي تمام، والبحتري، وأبي العتاهية، والمتنبي وابن المعتز وغيرهم، وكلهم من فحول عصرهم.

والزمخشري في هذه القضية - الخروج على نطاق الزمن - لا يرى للمتقدم أيّة فضيلةٍ على المتأخر، إنما ينظر إلى شعر الشاعر، أمستحقٌ هو للأخذ بأبياته شواهدَ أم لا، ثم إنه لا يعرف كيف يأخذ العلماء بمرويات أبي تمام على سبيل المثال ولا يأخذون بشعره، إنه يضع الحماسة جنباً إلى جنب مع شعر أبي تمام، لأن الاختيار ناتجٌ عن ذوق وقدرة لغوية معينة لا يمكن إغفالها وتجاوزها، وبهذا تصبح الاختيارات بشكل أو بآخر تابعةً لذوق المختار.

وإذا حاولنا تفسير إصرار الزمخشري هذا، فلن نتجاوز القول بإيمانه بأن اللغة بجيدها المتقدم والمتأخر، ولأن طاقات اللغة تبيح مساحات واسعة من التعبير تبعاً للتراكيب ودلالاتها الهائلة كثيرة التغير، كان من الصعب حصر الاستشهاد بزمن ومكان معينين. وهو في كثير من الأحيان يعلق على تركيب شعري جاهلي بأن قائله لم يقرأ القرآن، ولو أنه فعل لما قال كذا، ولاتبع طريقة القرآن الكريم، ثم يعود مرة أخرى ويعلق على تركيب قرآني بأن يأتي ببيت شعري ويقول: هلا (فعل كذا) أخذاً بالأبلغ كقول فلان ويذكر البيت.[2]

إن الشاعر في المسألة السابقة هو البحتري وهو محدث، لكنه حسب رأي الزمخشري أتى (بالأبلغ) ويحاول أن يقلب التركيب على وجوهه ليخلص إلى أن كلا الصيغتين بليغ وتجيزه أوجه العربية.

وحين يذكر أبياتاً للمتنبي في غير ما مسألة يُتبعها بشكه في مدى استيعاب المتنبي لمواطن الإعجاز في القرآن، بل إنه يشك أيضاً في أنه قرأه قراءة متفحصة إذ لو فعل ذلك لما قال كذا ويذكر البيت.

---

(١) انظر الكشاف ٤٢٦/١ استشهد بابن الرومي.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢١٥/١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فالزمخشري إذا لا يأتي بأي شعر لأي محدث، وإلا لكان المتنبي أفضل المحدثين، ولكنه لم يأخذ عنه كما أخذ عن أبي تمام وغيره، إنه يحكّم عقله وذائقته في كل ما يختار كيلا يُسأل عما يفعل، حتى إنه يبرر هذا الأخذ تبريراً لا يدع معه مجالاً للمساءلة. والقضية الأبرز في المسألة والأكثر لفتاً للنظر هي الإيمان بقدرة القرآن الكريم على صبغ وتغيير لغة المتفحص الناظر له، فإن من أمعن قراءته وتدبر آياته جاء بما يشابه تراكيبه وبزّ بذلك معاصريه، ومن هنا يرى في بعض تراكيب المحدثين ذلك التفوق الذي جعله يستشهد بشعرهم ولكن الاستشهاد يبطل، إذ صار المستشهد به متأخراً على المستشهد له زمنياً ومستفيداً منه، فلا استشهاد ثمّ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثانية: الشواهد مجهولة القائل

أورد الزمخشري في معرض استشهاده في الكشاف العديد من الأبيات، منها ما نسبها هو، ومنها ما لم ينسبها، ومن بين تلك الشواهد التي لم ينسبها وهي كثيرة شواهد لم أعثر بها في أيٍ من الكتب المختصة بالشواهد النحوية وهي نسبةٌ ليست بالقليلة وتؤخذ مأخذ الشك، وقد بلغت نسبتها ٢٥,٧٪ فيما كانت نسبة الشواهد المعروف قائلها ٧٤,٢٪.

على أني تعاملتُ مع الشاهد معروف القائل بطريقة تدعو إلى الاطمئنان أكثر من تلك التي تعاملت فيها مع الشاهد غير معروف القائل. إذ إن هذا النوع الأخير لا يمكن لأي باحث الاتكاء عليه في أية قضية كانت خصوصاً مع ما تناهى إلينا من أن القدماء ابتدعوا شواهدهم الخاصة لتلائم تماماً القضايا المتطلبة لها، وهذا من أبشع ما كانوا يفعلون، ظانين أنهم بهذا يزيدون قواعد العربية ويثرون نحوها، والأغرب من هذا تقبل العامة والعلماء كذلك لتلك الشواهد الضعيفة، فإننا نرى اليوم في كتب النحو ومدوّناته العديد من تلك الشواهد، ومن تلك التي عثرت بها من خلال بحثي:

فـــمـــا أمّ الـرديـن وإن أدلّـت

بـعـــــالـةٍ بأخـــــلاقِ الـكـرامِ

إذا الشـيـطـان قـصّـعَ في قـفـاها

تـنـفـــقـنـاه بالحـــبـل الـتـــؤامِ

ومنها كذلك:

ينازعـني ردائي عـبـد عـمـرو ... رويدك يـا أخـا عـمـرو بن بـكر

لـي الشّطر مـــا ملكت يميني ... ودونك فـاعـتـجـر منه بشطر

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثالث: الاستشهاد بشطرٍ من البيت او اقلّ

لقد اتبع الزمخشري ما اعتاد عليه نحويّاً، حيث لم يورد البيت كاملاً بعض الأحيان، بل يذكر شطره الذي حوى موطن الاستشهاد أو بعض شطرٍ أيضاً فيه التركيز على موطن الاستشهاد، وقد بلغت نسبة هذه الشواهد الناقصة ٣٢,٤٪ في مقابل الأبيات المذكورة بكاملها والتي بلغت نسبتها ٦٧,٦٪.

أما سبب البتر الحاصل في بعض الأبياتِ، فكان لشيوع موطن الشاهد عند النحاة أو اللغويين، ومن أمثلة ذلك:

كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى ناضِرِ السّلَم[1]

وصدر البيت:

ويوماً توافينا بوجهٍ مُقسَّمٍ

وكذلك:

غلت نات كليبٍ بواؤها[2]

وأصل البيت:

وجـارة جـسّـاسٍ أبـانا بنابِـهـا

كليـبـاً (غلب نابَ كليبٍ بواؤها)

ومنها كذلك:

فحسبُك والضحّاك عضبُ مهندٍ

وصدره: إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٥٠٦/٣ وكذلك الخزانة ٤١١/١٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٩٧/٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك: ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني[1]

ومنها: قميصي مسرودةٌ من حديدِ[2]

وصدره: مفرشي صهوة الحصانِ ولكن

ومنها ما لم أعرف تتمته:

فهُنّ به جودٌ وأنتم به بخلُ[3]

وكذلك:

وكلّ خليل غيرها ضَمّ نَفْسَهُ[4]

وقد وجدت أن نسبة الشواهد المجهولة القائل الناقصة بلغت النصف وأزيد، في حين أنّ النصف الباقي ناقصةٌ معروف قائليها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٧٠/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٣٨/٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣٠٨/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢٢٢/٣.

رابعاً: الاستشهاد بأكثر من بيت على نفس القضية

إن الفرق بين القضية المدعمة بشاهد واحد تختلف عن تلك التي يدعمها أكثر من شاهد، ووجه الاختلاف بيّنٌ، وهو منحصر في نطق أكثر من عربي بها -القضية- يختلف الحال فيما لو كان الشاهد فرداً لأعرابي غير معروف.

وقد تكررت القضايا التي استلزمت أكثر من شاهد شعري عند الزمخشري ومن تلك الأبيات التي جاء بها مستشهداً على نفس القضية قول القائل:

مفرشي صهوة الحصانِ ولكـ

ـن قميص مسرودة من حديد[1]

وإني لأستوفي حقوقي جاهداً

ولو في عيونِ النازياتِ بأكرعِ[2]

ومنها أيضاً قول أبي تمام:

ويصعدُ حتى يظنّ الجهول

بأنّ له حاجةً في السماء[3]

وكذلك:

لا تحسبوا أنّ في سربال رجلاً

ففيه غيثٌ وليثٌ مسبل مشبل[4]

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٨/٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٣٨/٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢٠٥/١.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢٠٦/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك:

أســدٌ عليّ وفي الحــروب نعـامـةٌ

فـتخـاءُ تنفـرُ من صـفـير الـصافـر[1]

فهذه الأخيرة الثلاثة جاء بها الزمخشري جميعاً للاستشهاد على نفس القضية.

وكذلك:

يا عـارضـاً مـتلـفـعـاً بيـرودِه

يخـتـالُ بينَ بروقِـه ورعـودِه[2]

و... يسقون من ورد البريص عليهم

بردى تصـفّـق بالرّحـيل السّـلسَلِ[3]

وقد أحصيت ما يقارب الخمسَ حالاتٍ ذكر فيها أكثر من بيت مستشهداً، كانَ من بينها شاهد خارجٌ على عصر الاحتجاج يبدأ به أولاً ثم يأتي بأخر داخلةٍ في عصر الاحتجاج والمسألة السابقة من بينها، فالبيت الأول للبحتري والثاني لحسّان بن ثابت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٠٦/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢١٥/١.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢١٦/١.

الخامسة: الاستشهاد بشعر شاعر اكثر من غيره

ربما كانت هذه الناحية غير ذات أهمية بشكلٍ عام، إلا أنها تمسّ جوهر قضية الاستشهاد عند الزمخشري، فقد كان بإمكانه أن يأتي بالعديد من الأبيات مستشهداً، ولكنه فضّل شاعراً على آخر، وإن لم يصرّح بذلك فتكرر شواهد شاعرٍ بعينه لها أهميتها النابعة من تفضيل الزمخشري له، وقد تكررت شواهد الشعراء الآتين:

الشاعر	عدد الشواهد
ذو الرمة	٧
النابغة الذبياني	٦
زهير بن أبي سلمى	٤
امرؤ القيس	٤
حاتم الطائي	٣
كثير عزة	٣
حسان بن ثابت	٣
أبو تمام	٢
جرير بن عطية	٢
تأبط شراً	٢
بشر بن أبي حازم	٢
لبيد بن ربيعة	٢
طرفة بن العبد	٢

أما بقية الشعراء فاكتفى ببيت لكل شاعر، ولا يعني هذا تفضيل من استشهد له بأبيات أكثر، ولكن ربما كان تفضيله سابقاً لوضعه هذا التفسير، حيث يكثر من حفظ أشعارهم فجرى بها لسانه ولم يجرِ بشعر غيرهم بنفس الكثرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السادسة: نسبة الشواهد إلى قائليها

وهذه القضية أخذت طابعاً مميزاً في كتب النحو خاصة منها المحدثة، حيث كثرت التفسيرات التي حاولت أن تتصدى لعدم محاولة النحاة نسبة الشواهد إلى أصحابها، رغم أنهم غير مجهولين، وهذه الظاهرة شائعة في كتب النحو وليس من المستغرب أن يفعل ذلك الزمخشري.

إلا أن قدماء النحاة كانوا أهملوا النسبة لشيوع قائليها من جهة، وتكرارها في مصنفاتهم من جهة ثانية، لكن كلاماً كهذا لا يقنعنا، إذ إننا لو نظرنا في تلك المصنفات، لوجدنا قواعد نحوية وصرفية قياسية الطابع، أهملتها العامة تماماً وسارت على المسموع المتوارث، وبقيت تلك القواعد حبيسة الكتب وحبيسة الشاهد الشعري المجهول قائله أو المرويّ لأعرابي، وهذه من الضعف بمكان بحيث تستحق الإهمال.

والزمخشري في شواهده البالغة مئة وخمسة شواهد لم ينسب سوى أربعة وثلاثين شاهداً (٣٤) أي أن نسبة الشواهد المنسوبة بلغت (٣٢,٤٪) في حين بلغت نسبة الشواهد غير المنسوبة (٧٦,٦٪).

على أن الشواهد التي نسبها إلى قائليها، هي في معظمها لشعراء من خارج عصر الاحتجاج، والغريب أنه يُصر على ذكر اسم كل شاعر متأخر، كأنما يُجاهر بهذا الخروج ويباهي به، ولا مجاهرة إذ هذا رأيه، وقد سلك مسلكه بعض سابقيه، لكنهم لم يكثروا، أو أنهم لم يذكروا قائل البيت تحسباً من رفضه، فيما أصر هو على نسبة البيت إلى صاحبه على غير ما اعتاد من إغفال النسبة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السابعة: الاسترسال في التعليق على بعض الشواهد

تعد هذه المسألة من المسائل اللافتة للانتباه، حيث وقعت من خلالها على الكثير من الاستطرادات والاسترسالات ذات أهمية بالغة، عبّر من خلالها الزمخشري عن كل ما في خاطره من المعاني وأبرز كذلك ما يُكنّ من معرفة وعلم كبيرين، ومن تلك ضربُ التنزيل العزيز المثل بالبعوضة، فقد أسهب الزمخشري في الحديث عليها، وكان كلاماً طويلاً كثير التفرع من غير ما تشتت ولا حيدة، فهو يبدأ من قضية التمثيل «فإن كان المتمثل له عظيماً تستدعيه حال المتمثل له»[1]، كان المضروب به المثل عظيماً والعكس بالعكس. ومن ثم يتوسّع في الحديث على التمثيل وأنه موجه للكفار، فالبعوضة من جنس ضعفهم، ويعلل ذلك تعليلاً آخر، هو «أن الناس من طبعها أن تضرب الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام».[2] ويذكر طائفة من تلك الأمثال، ثم يعرض للإنجيل الذي ضرب الأمثال كذلك «بالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والدود والزنابير»[3] وهي من حقائر الأشياء، ثم يأتي بشواهده ويطيل الحديث عليها، وينتقل من ثم إلى تفسير آخر للبعوضة، فهي مشتقة من البعض وهو القطع كالبضع ويأتي بشاهده.[4] ثم يذكر اشتقاقها الصرفي، ثم يلجُ إلى الكلمة التالية في الآية وهي ﴿فما فوقها﴾، ويربطها بالبعوضة من خلال فهمه للسياق كاملاً ويستشهد من ثم بأكثر من حديث ومقطوعة شعرية توضح معنى ما فوق البعوضة وما تحته.[5]

ولو أني أوردت كلامه السابق كله لاستغرق بضع صفحات وهو كلامٌ منطقي شديد الإحكام لا ينفذ إليه شك ولا يعتري قارئه ريب، كل ذلك يورده بأسلوب سردي لا ملال فيه ولا كلال، وإنما هو تفسير للمعنى بشكل منفرد لكل (كلمة) ثم يجمل السابق بالمعنى العام.

على أن الزمخشري اختصر في الكثير من الآيات اختصاراً جعل الكلام فجّاً، حيث اكتفى بإعراب الكلمات إعراباً نحوياً دونما إشارة إلى المعنى.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٦٢/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢٦٢/١-٢٦٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢٦٣/١.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢٦٤/١.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٢٦٥/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثامنة: تنوع صيغ الاستشهاد

إن قضية الاستشهاد عند الزمخشري تجاوزت حدود المسألة وإثباتها، إذ هو يعرض للشاهد لإثبات رأي أو وجه واحد فقط من بين أكثر من ثلاثة وجوه على الأغلب، فإن كان القارىء ممن يبحث عن وجه الفصاحة المتمثل في قول الأعراب مضاغي الشيح والقيصوم[1]، وجد في الاستشهاد بالشعر مراده وحقق المعنى وفهم المقصد، وإن لم يكن فللزمخشري رأي آخر منبنٍ على معرفته الخاصة حيناً وعلى المعارف السابقة للعلماء السابقين أحايين أخرى.

وقد اتخذت صيغ الاستشهاد عند الزمخشري طوابع عدة، راجعة إلى ألفاظ الصيغة، فمنها ما يزيدها توكيداً، ومنها ما يقتصر على مجرد ذكر بيت شعري وكفى. وصيغ الاستشهاد التي وقعت عليها من بين الشواهد المدروسة هي:

١- كقول فلان....[2]

٢- ناهيك بقول فلان...[3]

٣- قعد تحت قول فلان...[4]

٤- ونحوه من (القضية) قول فلان...[5]

٥- ... أنشد فلان...[6]

٦- ونظيره قول فلان...[7]

---

(١) انظر هذا الوصف في الكشاف ٢٦٤/١ يصف رؤبة بن العجاج «... تعزى إلى رؤبة بن العجاج، وهذا أمضع العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة».

(٢) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٢١٥/١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٥٧/١.

(٤) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٣٠١/٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٤٢٦/١.

(٦) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٢٠٧/١.

(٧) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٤٣٦/٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧- كما في قول القائل...[١]

٨- فهو من وادي قوله...[٢]

٩- ألا ترى إلى قول...[٣]

١٠- أجرى مجرى قوله...[٤]

١١- وفي أسلوبها قول القائل...[٥]

١٢- ومنه بيت فلان...[٦]

١٣- ومما هو بيّن في هذا قول...[٧]

١٤- ألا ترى إلى فلان كيف صنع في قصيدته...[٨]

١٥- وهو مثل قوله...[٩]

١٦- وقد ألمّ بـ (القضية) من قال...[١٠]

١٧- وأنشد (سيبويه) أو أي نحوي شاهداً له...[١١]

---

(١) الزمخشري، الكشاف، انظر على سبيل المثال: ٣٣٦/٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٥١٥/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٢١٦/١.

(٤) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٢٥٥/٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٨٨/٣.

(٦) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٢٨٩/٣.

(٧) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٢١٣/١.

(٨) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٢٠٨/١.

(٩) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ١٧٢/٣.

(١٠) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ١٤٧/٢.

(١١) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٦٣١/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٨- والأصل (كذا) بدليل قوله...[١]

١٩- ومنه بيت الحماسة...[٢]

٢٠- ووجهه أن يكون نحو قوله...[٣]

٢١- وهو من قوله...[٤]

٢٢- وقلّ عنهم نحو قوله...[٥]

والصيغ السابقة منها ما يرتفع إلى مرتبة عليا تجعل قبول القضية لا بُد منه، ومنها ما يتدنى إلى مرتبة ذكر بيت من الشعر على سبيل كسر الرتابة العلمية، وقد يصعب ترتيب الدرجات ترتيباً دقيقاً، لكنني يمكنني أن أرجح أعلاها بالصيغ الآتية:

والأصل (كذا) بدليل قوله...

ألا ترى إلى قول فلان...

وهو مثل قوله...

ونظيره قول فلان...

فإن الصيغة الأولى، يأتي فيها الزمخشري على ذكر أوجه عدة لكن الأصل هو المرجح عنده فيستشد عليه بشاهد ليدلل الأصل، وأما الصيغ الثانية (ألا ترى) فإنها دعوة يوجهها إلى القارىء يدعوه فيها إلى التبصر، والتدبر في قول أحدهم، فالتحضيض في الصيغة يؤدي عنده إلى التصديق، وثالثة الصيغ تحوي التشبيه المطابق لما في (مثل) من معنى المساواة فكأن السابق من كلام الله يشبه اللاحق من قول الشاعر، وتشبهها صيغة (كما في قول فلان)

---

(١) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ١٩٤/٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٢٦٢/١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٨٢/٣.

(٤) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ١١٨/٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف، انظر مثلاً: ٨٤/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك (نظيره قول فلان) وغيرها. أما أدنى مراتب الصيغ تصديقاً وقبولاً، أن يذكر الآراء ويبينها ثم يأتي بالشاهد دونما تمهيد له البتة، فيأتي منبتّاً عن السياق كأن لا حاجة به إليه.

ومع كل ذلك لا يرجّح الزمخشري رأياً من الآراء العديدة التي يوردها مفسّراً، وقد تتجاوز معنى (كلمة) واحدة خمس دلالات يتركنا إزاءها في حَيْرةٍ ولا يحاول اختيار معنى أقرب إلى فهمه، اللهم إلا في بعض الحالات، حتى ذلك المعنى للمستشهد عليه بشاهد شعري، وإن يوحي الشاهد بضرورة التصديق لا يرجحه، ولكنه أشار غير مرة إلى أن «القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم»[1]، ولأن رؤية «أمضع العرب للشيح والقيصوم»[2] رجّح رأيه أكثر من مرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الزمخشري، الكشاف ٩٨/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢٦٤/١.

المبحث الثاني: مفاهيم الزمخشري النقدية من خلال الشواهد المدروسة:

- مفهوم المعنى عند الزمخشري

والمعنى في اصطلاح أهل الفلسفة والمنطق وفقه اللغة هو المدلول، فمعنى العبارة مدلولها، الموضوع المعبر عنه فيها[1]، ولا يكاد المعنى ينفصل عن الشكل (اللفظ) إنما دلالة الشكل (اللفظ) هي (المعنى)، ولا يكادان أن يتغيرا تطورياً، نظراً للعلاقة الجدلية القائمة بينهما، فاللفظ (الشكل) يتغير تبعاً (للمعنى) الذي هو بطبيعته يتسم بمرونة أكبر نظراً لتعدد الألفاظ الدالة على معاني متقاربة من جهة، ومن جهة ثانية لكون (اللفظ) ظاهراً ملفوظاً منطوقاً به، والمعنى متضمن فيه، فإنه لما كان متضمناً سهل انزياحه وتغيره ضمن إطار ثبات عام لكل من الشكل والمعنى، بحيث لا ينزع المعنى وينفصل عن اللفظ إلا في حالات بسيطة، وعلى مدى مدة زمنية بعيدة، حيث وجدت في العربية ألفاظ غايرت معانيها إلى معاني متناقضة تماماً.

أما المعنى عند الزمخشري فهو المقصد الرئيس، فلا يكاد يحفل باللفظ إلا قليلاً، فنراه حين يبدأ بتفسير السورة يحللها إلى ألفاظها، وبإزاء كل لفظ يضع المعنى أو المعاني التي يرجحها ومن ثم يذكر معنى السياق كاملاً وليس في كل الآيات.

وكما رأينا في الفصل الثاني عند الحديث على الشواهد أنه قد يذكر معنى كل لفظ منفصلاً ثم يغاير أحياناً تلك المعاني إلى غيرها حين يشملها بمعنى واحد، ولكنه مع ذلك يَظَلُّ عارفاً عالماً بكتاب الله وأسرار خفاء إعجازه. وقد بالغ من قال «كل من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك».[2] إذ لم يَضِع الزمخشري فكان يراوح بين طلبه المعنى واحتفائه باللفظ، لكننا نراه يشغل نفسه صفحات عديدة حاصراً استعمال (لفظ) واحد عن العرب في لغات قائليها طلباً لتغاير المعاني، فإن هدفه استقصاء كل ما كن في اللفظ منها. وهذا حالُ اللغويين الذين «تميزوا عن... غيرهم بالنظر الأشمل والأكمل في المعنى وأساليب أدائه. وما قد يحفُّ به

---

(١) المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة توفيق سلّوم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦، ص٤٦٧.

(٢) عبدالكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، د. م، د. ت، ص٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من سياقات ومقتضيات أحوال».[1]

وقد تجاوز الزمخشري قضية معنى اللفظ إلى معنى السياق وهو ما عرضنا شواهده في الفصل السابق، فإنه تبنّى معنى التركيب، كتفريع على معنى اللفظ.

وأما تقسيم المعاني إلى أوّلٍ وثوان، فلم يحفل به الزمخشري كثيراً، فنراه من البداية يتجاهل المعنى اللغوي إلى المعنى المولّد منه دون أن يُشير إلى ذلك، فإذا عدنا إلى معاجم العربية نبحث عن ذلك المعنى لم نجده وقد عرضت لمسائل من هذا في الفصل الثاني.

ولعل الاستشهاد عنده يعود إلى قضية انتحائه عن المعنى الأول إلى الثاني، فإن لغة الشعر متنحية كذلك، لهذا يمكن القول إن الزمخشري تجاوز قضية اللفظ والمعنى إلى قضايا التراكيب ودلالة الألفاظ ضمن السياقات، ولكنه كان يفضل ذكر معنى كل لفظ أولاً كيلا يختلط المعنى المنفرد للفظ بمعناه داخل التركيب. ومن ذلك أيضاً تعليقه على عدد من الآيات، بأنها من باب التمثيل أو التخييل أو الاستعارة[2]، وحينها يتناسى اللفظ تماماً لينصب في معنى عام ينتظم التركيب يُطيل الحديث عليه ويشرح الصورة ويستشهد عليها بشاهده.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) صناعة المعنى وتأويل النص، أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية، كلية الآداب بمنوبة، تونس، ١٩٩٢، بحث (المعنى عند البلاغيين: السكاكي نموذجاً) خالد ميلاد، ص١٥٦.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١٢٩/٢، وانظر كذلك ٤٢٦/١ الكشاف ٢٠٧/١.

مفهوم التشبيه عند الزمخشري:

التشبيه في أصل الوضع اللغوي هو التمثيل، فشبه الشيء هو مثله[1]، وعند البلاغيين والنقاد هو التمثيل. وكان أول من فتح باب التشبيه وتحدث عليه كفن «المبرد»[2] حين قال بتباين مابين الأشياء من وجوه وتشابهها من وجوه أخر فينبغي التماس التشبيه في مكانه أينما وقع[3].

ولم يفرق الزمخشري بين التشبيه والتمثيل وكذلك ابن الأثير الذي نعى على بعض العلماء إفراد كل منهما في باب منفصل متناسين توحدهما في أصل الوضع اللغوي[4] وكذلك أبو عبيدة في «مجاز القرآن» وحد بينهما حين جعل التمثيل عين التشبيه[5].

وذهب بعض البلاغيين والنقاد إلى غير ما ذهب إليه من سبق ذكرهم من اعتبار التوحد بين التشبيه والتمثيل فقد رأى العسكري والبلاقلاني وابن رشيق التمثيل «ضرب من الاستعارة» والتمثيل عند عبد القاهر والسكاكي والقزويني و... وغيرهم هو «التشبيه التمثيلي»[6].

واختلف العلماء في كون التشبيه مجازاً وكان من أوائل من نفى ذلك عبدالقاهر وصرح بذلك أيضاً[7]. ويتضح من تعريف التشبيه، صحة الكلام السابق أو عدمه، فالتشبيه: «الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد، كالطيب في المسك، والضياء في الشمس والنور في القمر، وهو حكم اضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ٥٠٣/١٣ مادة (شبه).

(٢) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص٣٢٣، وانظر أيضاً أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٦٨/٢.

(٣) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة ٣٢٣.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٦٦/٢.

(٥) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة ٤٢٤.

(٦) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات، ٣٤٨/٢.

(٧) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٧٠/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاستعارة»[1]، فليس فيه إذن نقل لفظ عن موضه كما في المجاز لهذا فإن من قال بالنظر إلى كون التشبيه بحرف حقيقة، وبحذف الحرف مجاز أرجح[2].

أما الزمخشري فيخلط بين التشبيه والتمثيل والتخييل، كأن يعلق على صورة معينة ويشرحها ثم يدخلها في باب التمثيل والتخييل وكأنه باب واحد عنده، ومثال ذلك حديثه على الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا. . .الآية﴾ وكذلك في الآيتين ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون﴾ ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً قالتا أتينا طائعين﴾ فإنها جميعاً من باب التمثيل فهو «واسع في كلام الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وفي كلام العرب».

ويؤكد الزمخشري أن قول الإنسان رداً على خالقه، وقول الشجر والحجر والملائكة والطير وغيرها، كلها لاقول فيها، «إنما تمثيل وتصوير للمعنى».

ويضيف الزمخشري مفهوماً رابعاً هنا هو تصوير المعنى، وهو في حديثه على آية واحدة وهي قول الناس (بلى شهدنا) يفسرها بثلاثة مفاهيم هي:

- التمثيل
- التخييل
- تصوير المعنى

والتخييل قد يشترك فعلاً مع التمثيل وتصوير المعنى فإن التخييل من خال الشيء إذا ظنه وتفرسه وخيل عليه شبه[3] والكلام المخيل هو الذي يؤثر في النفس فيحدث فيها مايحدث من أمور فقد تنقبض أو تنبسط دون تفكير أو روية أي يكون ذلك «انفعالاً نفسياً» حتى لو كان الكلام من ذلك الذي لا يصدق.[4]

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القران، ٤١٤/٣.

(٢) المرجع السابق ٤١٥/٣.

(٣) احمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ٣١١/١.

(٤) المرجع السابق، ٣١١/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يتبع الزمخشري نفس المفهوم يكرره في الكتاب ويطرده على نفس الوتيرة ، فإنه يعتبر تعبيراً مثل[1]

- سال به الوادي
- طارت به العنقاء

على سبيل التمثيل الذي يوحد بينه وبين التشبيه في موضع سابق حين يعلق على الآية:

﴿ختم الله على قلوبهم﴾

ثم يجيز للصورة في هذه الآية أن تكون على طريق المجاز المسمى استعارة[2].

يتضح من الكلام السابق غياب الوضوح الاصطلاحي للكثير من المفاهيم النقدية والبلاغية التي كانت رست في عصره وأقرت لكل منها أبواب خاصة تميزها وتشرحها وما وقع فيه الزمخشري من خلط يعود إلى تركيزه على المعنى، فهو يبينه حسب مايريد وفي الكيفية التي يراها مناسبة وتوافق أوجه العربية، من ثم يدخلها في باب أو أكثر من أبواب البلاغة دونما دقة في الحكم على تلك المسألة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الكشاف ١/١٦٠.

(٢) الكشاف ١/١٦٠.

مفهوم الاستعارة عند الزمخشري:

تعددت تعريفات الاستعارة من ناقد لآخر ومن بلاغي لغيره، ومعاجم البلاغة تتسابق في تعداد تلك التعريفات وهي كلها طريفة لكن المقام يضيق بذكرها كلها، ولأنها لا تخرج عن كونها توضيح لمفهوم واحد، سأقتصر على بعض التعريفات وبعض الكلام حولها قبل إرسائها مصطلحاً.

فقد تحدث المبرد عن الاستعارة على أن «العرب تستعير من بعض لبعض»[1] وذكرها ثعلب حين قال: «هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه»[2]، وبدأ بعد ذلك مفهوم الاستعارة يتضح شيئاً فشيئاً ومن تلك التعريفات:

هي «تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة» وهو رأي الرماني[3].

وهي «أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[4].

وهي أيضاً «أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول، كما قال الله عز وجل: ﴿لا تظلمون فتيلا﴾..... والاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة وتفعل في النفوس مالاتفعله الحقيقة»[5].

---

(١) إنعام عكاوي، المعجم المفصل ٩١.

(٢) المرجع السابق ٩١.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية ١٣٩/١.

(٤) السكاكي، مفتاح العلوم ٣٦٩.

(٥) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، ١٩٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي تحليل التركيب الاستعاري ذهب أغلب علماء البلاغة إلى وجود ثلاثة أركان هي:[1]

١- المستعار منه، وهو المشبه به.

٢- المستعار له، وهو المشبه.

٣- والمستعار وهو اللفظ المنقول.

وتفنن متأخرو علماء البلاغة في تقسيمها وتفريعها دون ملل، فضاعت جماليتها وغابت في سعيهم إلى ذلك التقسيم حتى كثرت أقسامها ومنها: الاستعارة الاحتمالية والاستعارة الأصلية والاستعارة بالكناية والاستعارة التبعية، والاستعارة التجريدية والتحقيقية والتخييلية والترشيحية والتصريحية والتمثيلية والتلميحية والتهكمية والحقيقية والخاصية والخيالية والعامية وغيرها[2] أما ما ذهب إليه الزمخشري فالمفهوم العام لها دونما أية تفريعات وتقسيمات ففي تعليقه على الآية:

﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾.

يرى أن «الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ماهو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار»[3]

والمثال السابق من تعليق الزمخشري على الآية كثير التكرر في الكشاف، فهو يبسط المسألة ويوضحها بإسهاب على غير مايفعل في الآيات التي تخلو من صور بلاغية، وهو وإن سمى مافي الآية (استعارة) فإنه رجع وأطلق عليه (التصوير) والتصوير عنده التشبيه

---

(١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية ١/١٤٢.

(٢) المرجع السابق ١/١٤٣-١٦١.

(٣) الكشاف ٣/١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتمثيل والتخييل والاستعارة، ولهذا لا نستطيع تبين وجهة نظره حين يخلط كل تلك المفاهيم، والصحيح أنها تندرج تحت مفهوم التصوير الذي هو أكثر شمولية وتعبيراً عن المراد وأقرب للفهم المعاصر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمـــة

بعد العرض السابق للشواهد الشعرية، توصلت إلى أن الشّعر بنيةً عليا وصيغةً راقيةً بذاتها والقرآن الكريم كذلك، وأما قضية الاستشهاد ومحاولة تدعيم الآية القرآنية بشاهد شعري، فلأن الشعر قول العرب، وناهيك بقولهم فصاحةً ورقياً، والزمخشري وإن كان استشهد به فإنه لم يكن يرجح المعنى المدعم بشاهد في الغالب، إنما هي طريقة انتحاها، يذكر عدة معانٍ لنفس التركيب من بينها معنىً مستشهد عليه بشاهد، وليس ثمَّ ترجيحٌ لذلك المعنى أو دلالة على أن الزمخشري أولاه عناية خاصة، والشواهد التي يختارها هي من محفوظه اللغوي وهو اللغوي أولاً. وقد كنت ظننت أن للشعر عنده قيمةً أرفع من مجرد تحلية وتزيين هذا التفسير، كما فعل في أغلب الأحيان، ومع ذلك يظل للشعر قيمته اللغوية، والفنية الخالصة، وهو إلى الفن أقرب، فالألفاظ فيه تنزاح من شاعرٍ لآخر وعند الشاعر نفسه. لهذا فالقرآن الكريم وبعد أن تم فهمه واستيعابه، وجب اتخاذ آياته شواهد بدلاً من أقوال الأعراب.

وأما الصبغة البلاغية التي أكثر الناس في القول بوجودها في الكشاف، فهي بلاغية فعلاً ولكنها تصب في المعنى الذي يريده الزمخشري فإنه لم ينتحِ منحىً واحداً بلاغياً في شرح جميع الآيات إنما في بعضها فقط، متحدثاً عن بعضها بوجود استعارةٍ ثم يجيز لها أن تكون مجازاً أو اتساعاً في اللغة وهو الوجه الغالب عنده، كل ذلك ليصب في المعنى الذي يريده وهو عموماً تابع للإطار الاعتزالي الذي يؤمن به.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القران الكريم

آل جعفر، مساعد مسلم.

- أثر التطور الفكري في العصر العباسي.

- مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.

- مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦.

أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم

- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

أدونيس، الثابت والمتحول،

- دار الساقي، بيروت، ط٧، ١٩٩٤، ج١.

أرسطو طاليس، فن الشعر.

- ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.

أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر.

- تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد.

- مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.

الإستراباذي، الرضى

- الكافية في اللغة والنحو والصرف

- دار الكتب العلمية

- بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير.

- تحقيق حنفي محمد شرف.

- لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

امرؤ القيس، شرح وتحقيق: محمد حمود.

- دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٥.

الأنصاري ، ابن هشام.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

- تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد.

-دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

إنعام عكّاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة.

- دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

أوس بن حجر: ديوان أوس بن حجر.

- تحقيق: محمد يوسف نجم.

- دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٧٩.

بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم.

- تقديم وشرح مجيد طراد.

- دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤.

البغدادي، عبد القادر بن عمر.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.

- تحقيق عبد السلام هارون.

- الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التهانوي، محمد علي الفاروقي.

- كشاف اصطلاحات الفنون.

- تحقيق لطفي عبد البديع.

- الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٧.

توفيق سلّوم (مترجم). المعجم الفلسفي المختصر.

- دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦.

الجرجاني، زين الدين أبو الحسن، حاشية السيّد الشريف علي بن محمد بن علي السيّد زين الدين أبي الحسن الحسيني، على كتاب الكشاف.

- دار المعرفة، بيروت، د.ت.

جرير، ديوان جرير بن عطية.

- شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين.

- دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء.

- تحقيق: محمود محمد شاكر.

- مطبعة المرني، القاهرة، د.ت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان.

- الخصائص.

- تحقيق محمد علي النجار.

- دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، الطبعة الرابعة.

الحديثي، خديجة

- موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف

- منشورات وزارة الثقافة والإعلام

- الجمهورية العراقية، ١٩٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حداد ، حنا جميل.

- معجم شواهد النحو الشعرية.

- دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤.

حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت.

- تحقيق: حسن حنفي حسنين وحسن كامل الصيرفي.

- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

خاروف ، محمد فهد.

- الميسر في القراءات الأربعة عشرة.

- دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩٥.

دمشقية، عفيف، المنطقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي.

- معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٨.

الذبياني ،ديوان النابغة الذبياني.

- تحقيق حنا ناصر الحتي.

- دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩١.

الذهبي ، شمس الدين.

- سير أعلام النبلاء.

- تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.

- مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

الذهبي ، محمد حسين،

- التفسير والمفسرون.

- دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ربابعة ، بسام علي.

- الحريري وجهوده اللغوية.

- رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٥.

الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى.

- النكت في إعجاز القرآن.

- ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

- تحقيق وتعليق، محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام.

- دار المعارف، القاهرة، د.ت.

رولان بارت، الدرجة الصفر للكتابة.

- ترجمة محمد برادة.

- دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق.

- الجمل في النحو.

- حققه وقدم له: علي توفيق الحمد.

- مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤.

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله.

- البرهان في علوم القرآن.

- تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.

- دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية، د.ت.

الزركلي، خير الدين، الأعلام.

- دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزمخشري، محمود ابن عمر.

- الأحاجي النحوية.

تحقيق : مصطفى الحدري.

مكتبة الغزالي ، حماة ، د.ت.

الزمخشري، أساس البلاغة.

- مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦.

الزمخشري، أطواق الذهب في المواعظ والخطب.

- تحقيق أسماء أبو بكر محمد.

- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤.

الزمخشري، أعجب العجب في شرح لامية العرب.

- دار الوراقة ، دون مكان للنشر ، دون تاريخ.

الزمخشري ، ربيع الأبرار و فصوص الأخبار.

- تحقيق و دراسة ، عبد المجيد دياب ، رمضان عبد التواب .

- الهيئة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢.

الزمخشري ،الفائق في غريب الحديث.

- تحقيق، محمد أبو الفضل أبراهيم ، علي محمد البجاوي.

- دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٧.

الزمخشري، كتاب الأمكنة والمياه والجبال.

- تحقيق إبراهيم السامرائي.

- مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

- دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب.

- دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

السامرائي ، إبراهيم.

- الفعل زمانه وأبنيته.

- مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ط٢.

السكاكي، أبو بكر محمد بن علي.

- مفتاح العلوم.

- دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣.

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان.

- الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون.

- دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

السيرافي ، أبو محمد يوسف.بن المزربان.

- شرح أبيات سيبويه.

- تحقيق محمد الريح هاشم.

- دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦.

السيوطي ، جلال الدين.

- الإتقان في علوم القرآن.

- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السيوطي جلال الدين.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها.

- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي.

- دار الجيل، بيروت، د.ت.

الشلقاني ، عبد الحميد.

- مصادر اللغة، عمادة شئون المكتبات.

- جامعة الرياض، الرياض، ١٩٨٠، ص ١٣٥.

صالحيّة ، محمد عيسى.

- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٩٣.

طبانة، بدوي.

- معجم البلاغة العربية.

- منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٥.

طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد.

- تحقيق: محمد حمود.

- دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥.

الطبري، محمد بن جرير.

- تاريخ الأمم والملوك.

- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

- دار، سويدان، بيروت، د.ت.

عبدالكريم مجاهد.

- الدلالة اللغوية عند العرب.

- دار الضياء، دون مكان للنشر، دون تاريخ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عزيزة بابتي.

- المعجم المفصل في النحو العربي.

- دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

الفيروز آبادي.

- القاموس المحيط.

- مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة،

- الشعر والشعراء.

- تحقيق أحمد محمد شاكر،

- دار المعارف، د.ت.

القيرواني، ابن رشيق الأزدي

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

- دار الجيل: بيروت، د.ت.

الكتبي ،محمد بن شاكر

- فوات الوفيات .

-دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن كثير، البداية والنهاية،

- تحقيق أحمد أبو ملحم ومجموعة من المحققين غيره،

-دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥

اللبدي،محمد سمير نجيب ،

- معجم المصطلحات النحوية والصرفية،

- مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الماوردي أبو الحسن، علي بن محمد المصري،

- النكت والعيون تفسير الماوردي

- مراجعة وتعليق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم،

- دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

محب الدين أفندي.

- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات.

- دار المعرفة، بيروت، د.ت.

محمد إبراهيم عبادة،

- عصور الاحتجاج في النحو العربي،

- دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

محمد عيد.

- الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث.

- عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.

محمد محمد موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية،

- مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨.

محمد محيي الدين عبد الحميد،

- عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك،

- دار الفكر، بيروت، د. ت.

محمد علي سحلول،

- شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية،

- دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المرزوقي محمد عليان الشافعي،

- مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف،

- دار المعرفة، بيروت، د.ت.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم؛

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

النايلة، عبد الجبار علوان.

- الشواهد والاستشهاد في النحو.

- مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٦.

النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل،

- شرح أبيات سيبويه، تحقيق وهبة متولي عمر سالمة،

- مكتبة الشباب القاهرة، ١٩٨٥.

ابن النديم، الفهرست،

- دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

ياقوت الحموي، معجم الأدباء،

- دار المستشرق، بيروت، د.ت.

اليوسفي ، محمد لطفي، الشعر والشعرية،

- الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: المقالات

أحمد محمد ويس، الانزياح والاستعارة والانحرافات،

- مجلة كتابات معاصرة، بيروت، عدد ٢٧، مجلد ٧، ١٩٩٦.

تامر سلّوم، الحذف والذكر في كشاف الزمخشري،

- مجلة نهج الإسلام، دمشق، عدد ٦١، سنة ١٦. ١٩٩٥.

تامر سلوم ظاهر «القصر» في كشاف الزمخشري،

- مجلة التراث العربي، سنة ١٦، عدد ٦٤، ١٩٩٦.

توفيق الفيل، البلاغة العربية بين القصور والتقصير، دراسة في النشأة والتطور،

- حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ا لرابع عشر، ١٩٩١.

جون كوين، النظرية الشعرية؛ مقدمة في اللغة العليا، ترجمة أحمدُ درويش،

- مجلة إبداع، عدد ١٠، سنة ١٩٩٥، القاهرة.

حمادي المسعودي، التاريخ والزمن والأسطورة في مدوّنة الطبري التاريخية،

- مجلة الفكر العربي المعاصر، ع ٨٨-٨٩، ١٩٩١، بيروت.

خالد ميلاد (المعنى عند البلاغيين: السكاكي نموذجاً) بحث ضمن أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية، بمنوبة تونس، ١٩٩٢.

عبد الكريم الأسعد، هوامش متفرقتة على أصول الاحتجاج في النحو،

- مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، مجلد ٨، سنة ١٩٨١.

عزيز توما، اللغة الشعرية، نظرية الانزياح (كوهين وتودوروف).

- مجلة كتابات معاصرة، المجلد السابع، عدد (٢٦)، ١٩٩٦.

مهدي صالح السّامرائي، التشبيه بين العلمية والأدبية،

- مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد العشرون، ١٩٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ ٤٣

﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً﴾ ٤٦

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ ٤٧

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾ ٤٨

﴿والصافات صفّا، فالزّاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا﴾ ٤٩

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ٥١

﴿وآية لهم الأرض الميتةُ أحييناها وأخرجنا منها حبها فمنه يأكلون﴾ ٥٢

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ٥٣

﴿وحملناه على ذات الواح ودُسُر﴾ ٥٤

﴿قل لا يعلم من في السمواتِ والأرضِ الغيب إلا اللهُ وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ٥٦

﴿وما لأحد عنده من نعمةٍ تجزى، إلا ابتغاءُ وجه ربه الأعلى﴾ ٥٨

﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ ٥٩

﴿لا اقسم بيوم القيامة﴾ ٦٠

﴿أو كصيبٍ من السماء فيه ظلمات ورعدٌ وبرق﴾ ٦١

﴿والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ ٦٢

﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ ٦٣

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها﴾ ٦٤

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ ٦٦

﴿الم، ذلك الكتاب﴾ ٦٧

﴿أصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون﴾ ٦٧

﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ ٦٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرةً وأصيلا﴾ ٧١
﴿وجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ ٧٢
﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ ٧٣
﴿وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ ٧٤
﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ ٧٥
﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة﴾ ٧٥
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ ٧٧
﴿وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لايعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ﴾ ٧٨
﴿لايسمعون إلى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب﴾ ٧٨
﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾ ٧٩
﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾ ٨٠
﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾ ٨١
﴿... قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ ٨٢
﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ ٨٢
﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ ٨٣
﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم﴾ ٨٥
﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ ٨٦
﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا أنا معكم مستمعون، فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ ٨٧
﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ ٨٨
﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾ ٩٠
﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يَرجعون﴾ ٩١
﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ ٩٣
﴿أو كصيبٍ من السماء فيه ظلمات﴾ ٩٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ ٩٥
﴿مَلِكِ يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ٩٧
﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ٩٧
﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم﴾ ١٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالعيش في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول ١٥

تغيّرتِ البلادُ ومَنْ عليها فوَجْهُ الأرضِ مُغبرٌّ قبيحُ
تغيّرَ كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقلّ بَشاشةُ الوجهِ المليح ١٧

أبا هابيلَ قد قُتِلا جميعاً وصارَ الحيُّ كالميتِ الذبيح
وجاء بِشِرّةٍ قد كان منها على خَوفٍ فجاء بها يصيحُ ١٧

قد كان ذو القرنين جَدّي مُسْلماً ملكاً تدين له الملوك وتخشُدُ
بلغ المشارقَ والمغاربَ يبتغي أسبابَ أمرٍ من حكيم مرشدِ
فرأى مغيبَ الشمسِ عندَ غروبها في عين ذي خُلُبٍ وثاطٍ حرمدِ
من بعدِهِ بلقيسُ كانت عَمّتي مَلّكْنَهُمْ حتى أتاها الهدهدُ ١٨

شهدتُ على أحمدَ أنه رسولٌ من الله باري النّسَم
فسبحان مُدَّ عُمري إلى عُمرِهِ لكُنْتُ وزيراً له وابنَ عمّ
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرّجتُ عن صَدْرِهِ كل همّ ١٨

علفتُها تبناً وماءً بارداً حتى غدَت همّالةً عيناها ٤٢

أمن يهجو رسولَ اللهِ منكُم ويمدحُهُ وينصره سواءُ ٤٧

يا لهفَ زيّابة للحارث الصابح فالغانم الأيب ٤٨

إلى الملك القرمِ وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ٤٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولقد أمر على اللئيم يَسُبّني ... فمضيتُ ثمّت قلتُ لا يعنيني ٥١

وإذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فملّت ٥٣

مقرشي صهوة الحصان ولكن ... فمعيصي سرودةٌ من حديدِ ٥٤

وإني لأستوفي حقوقي جاهداً ... ولو في عيون النازيات باكرع ٥٥

عشية ما تغني الرماح مكانها ... ولا النبلُ إلا الأشرفيُّ المصممُ ٥٦

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ ... إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ ٥٨

أضحت خلاءً قفاراً لا أنيس بها ... إلا الجآذرُ والظلمانُ تختلفُ ٥٨

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلولٌ من قراع الكتائب ٥٩

فلا وأبيكِ ابنة العامريّ ... لا يدّعي القومُ أني أفِر ٦٠

يا عارضاً متلفعاً ببرودِهِ ... يختالُ بين بروقِهِ ورعودِهِ ٦١

ألا نادت أمامه باحتمال ... لتحزنني فلا بك ما أبالي ٦١

متى تأتنا تلمم بنا في دارنا ... تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا ٦٢

والمؤمن العائذات الطير ٦٤

إن الخليفة إن الله سربله ... سربال ملك به ترجى الخواتيم ٦٦

أنا أبو النجم ... وشعري شعري ٦٧

من مبلغ أفناء يعرب كلها ... أني بنيت الجار قبل المنزل ٦٨

أفرح إن أرزا الكرام وأن ... أورث ذوداً شصائصاً نبلا ٧١

هل أنت باعثُ دينار لحاجتنا ... أو عبد رب أخا عون بن مخراق ٧٢

ورب بقيع لو هتفت بحوه ... أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا ٧٣

لئن كان يهدي برد أنيابها العلي ... لأ فقر مني إنني لفقير ٧٤

وجارة جساس أبانا بنابها ... كليباً غلت ناب كليب بوائلها ٧٥

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت ... فإنما هي إقبال وإدبارُ ٧٧

ألا أيها الزاجري أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ٧٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا جسمي لديك وأوصالي ٧٩

حتى إذا الكلاب قال لها ... كاليوم مطلوباً ولا طالباً ٨٠

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا ببين غرابها ٨١

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... والخير والشر عند الله مثلان ٨٣

فقلت الى الطعام فقال منهم ... فريق نحسد الإنس الطعاما ٨٤

خذا بطن هرشى أو قفاها ... كلا جانبي هرشى لهن طريق ٨٥

الا إن خير الناس حياً وهالكاً ... أسير لقيف عندهم في السلاسل ٨٦

الكني إليها وخير الرسو ... لـ أعلمهم بنواحي الخبر ٨٧

ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين

جبهتها عما بالنعت لا بالتعتين ٨٧

ياشاة ما قنصت لمن حلت له ... فرميت غفلة عينه عن شاته ٩٠

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم ٩١

ويصعد حتى يظنّ الجهول ... بانّ له حاجة في السماء ٩١

لا تحسبوا ان في سربالهِ رجلاً ... ففيه غيثٌ وليثٌ مسبل مشبل ٩١

أسدٌ علي وفي الحروب نعامةٌ ... فتخاء تنفرُ من صفير الصافر ٩١

ترمسون بالحطب الطوال وتارةً ... وحيّ الملاحظ خيفة الرّقباءِ ٩٤

أذاكَ أم نمشٌ بالوشي أكرعه ... اذاك أم خاضت بالسيّ مرتعُهُ ٩٤

وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ٩٤

نبّئتُ نُعمى على الهجران عاتبةً ... سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري ٩٥

أقول له الرمح يأطر متنه ... تامل خفافاً إني انا ذلكا ٩٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تطاول ليلك بالإثمد ونامَ الخليُّ ولم ترقدِ

وبات وباتت له ليلةٌ كليلة ذي العائر الأرمدِ

وذلك من نبإٍ جاءني وخُبِّرتُهُ عن أبي الأسودِ ٩٧

إذا قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ٩٩

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد ١٠٠

لممّا أمّ الردين وإن أدلّت بعالمةٍ باخلاقِ الكرامِ

إذا الشيطان قصّعَ في قفاها تنفقناه بالحبل التوامِ ١٠٥

ينازعني ردائي عبد عمرو ورويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر ما ملك يميني ودونك فاعتجر منه بشطر ١٠٥

كأنّ ظبيةً تعطو إلى ناضرِ السّلَمْ ١٠٦

ويوماً توافينا بوجهٍ مُقسَّمٍ ١٠٦

غلت نات كليبٍ يواؤها ١٠٦

وجارة جسّاسٍ أبانا بنابها كليباً (غلب نابَ كليبٍ بواؤها) ١٠٦

فحسبُك والضحّاك عضبٌ مهندِ ١٠٦

إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا ١٠٦

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني ١٠٧

قميصي مسرودةٌ من حديدِ ١٠٧

مفرشي صهوة الحصانِ ولكن ١٠٧

فهُنّ به جودٌ وأنتم به بخلٌ ١٠٧

وكلّ خليل غيرها ضَمّ نفسَهُ ١٠٧

مفرشي صهوة الحصانِ ولكـ ـن ولكن قميص مسرودة من حديد ١٠٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإني لأستولي حقوقي جاهداً ولو في عيونِ النازعاتِ باكرع ١٠٨
ويصعدُ حتى يظنّ الجهول بانّ له حاجةً في السماء ١٠٨
لا تحسبوا انّ في سربالهِ رجلاً ففيه غيثٌ وليثٌ مسبل مشبلُ ١٠٨
أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ فتخاءُ تنفرُ من صفير الصافِر ١٠٩
يا عارضاً مستلفعاً ببرودهِ يختالُ بينَ بروقِهِ ورعوده ١٠٩
يسقون من ورد البريص عليهم ١٠٩
بردى يصفق بالرحيل السلسل ١٠٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(قافية الهمزة)

١- ويصعد حتى يظنّ الجهول بأنّ له حاجة في السماء

٢- أتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء

٣- ألم أكُ جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء

٤- أمن يهجو رسولَ اللهِ منكُم ويمدحُهُ وينصره سواءُ

٥- ترمون بالحطب الطوال وتارةً وحيَ الملاحظ خيفةَ الرّقباءِ

(قافية الباء)

٦- ورب بقيع لو هتفت بحوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

٧- حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوباً ولاطالباً

٨- أحقاً عباد الله أن لست جانياً ولا ذاهباً إلا عليّ رقيبُ

٩- وداع دعا يا من يجيب إلى الندا فلم يستجب عند ذاك مجيبُ

١٠- وما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

١١- ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراع الكتائب

١٢- يا لهفَ زيّابة للحارث الصـ ـابح فالغانمِ الأيب

(قافية التاد)

١٣- وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملّت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(قافية الجيم)

١٤- متى تأتنا تلمم بنا في دارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

(قافية الحاء)

١٥- ألا ربّ من قلبي له الله ناصحٌ ومن قلبه لي في الظباء السوانح

١٦- ورأيت زوج لي الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

١٧- اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيح

(قافية الدال)

١٨- فإن تمسي مهجور الفناء فربما أقامَ به بعد الوفود وفود

١٩- لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

٢٠-ألا أيهذا الزاجزي أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

٢١- وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالدِ

٢٢- إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا فحسبك والضحاك عضب مهند

٢٣- مفرشي صهوة الحصانِ ولكـ ـن قميص مسرودة من حديد

٢٤- يا عارضاً متلفعاً ببرودِهِ يختالُ بينَ بروقِهِ ورعوده

٢٥- تطاول ليلك بالإثمد ونامَ الخليُّ ولم ترقدِ

٢٦- وبات وباتت له ليلةٌ كليلة ذي العائر الأرمدِ

٢٧- وذلك من نبإٍ جاءني وخُبِّرتُهُ عن أبي الأسودِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(قافية الراء)

٢٨- والمؤمن العائذات الطير

٢٩- ألكني إليها وخير الرسو لـ أعلمهم بنواحي الخبر

٣٠- فلا وأبيكِ ابنة العامريّ لا يدّعي القومُ أني أفِر

٣١- إذا قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار

٣٢- مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا و صدورا

٣٣- لئن كان يهدي برد أنيابها العدى لأ فقر مني إنني لفقير

٣٤- ترتع مارتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبارُ

٣٥- أكل امريء تحسبين امرأ و نار توقد بالليل نارا

٣٦- أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت و ضاق بها الصدر

٣٧- لوما الحياء و لوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

٣٨- و لقد جنيتك أكمؤا و عساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

٣٩- ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش له صدري

٤٠- نبّئتُ نُعمى على الهجران عاتبةً سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري

٤١- ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر

٤٢- لي الشطر ما ملك يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

٤٣-أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ فتخاءُ تنفرُ من صفير الصافِر

(قافية السين)

٤٤- وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيس

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(قافية الطاء)

٤٥- حتى إذا جن الظلام و اختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

(قافية العين)

٤٦- وما الناس إلاّ كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

٤٧- ترسمت آيات لها فعرفتها لست أعوام وذا العام سابعُ

٤٨- و خيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

٤٩- أذاكَ أم نمشٌ بالوشي أكرعه أذاك أم خاضبٌ بالسيّ مرتعُهُ

(قافية الفاء)

٥٠- أضحت خلاءً قفاراً لا أنيس بها إلا الجآذرُ والظّلمانُ تختلفُ

(قافية القاف)

٥١- فيها خطوطٌ من بياض و بلق كأنه في الجلد توليع البهق

٥٢- خذا بظن هرشى أو قفاها كلا جانبي هرشى لهن طريق

٥٣- هل أنت باعثُ دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق

(قافية الكاف)

٥٤- أقول له الرمح يأطر متنه تأمل خفافاً إني أنا ذلكا

(قافية اللام)

٥٥- أفرح إن أرزأ الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلا

٥٦- لا تحسبوا أنّ في سربال رجلاً ففيه غيثٌ وليثٌ مسبل مشبلُ

٥٦- فهُنّ به جودٌ وأنتم به بخل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٧- يسقون من ورد البريص عليهم بردى تصفق بالرّحيل السلسَل

٥٨- وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل

٥٩- فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا جسمي لديك وأوصالي

٦٠- ألا نادت أمامه باحتمال لتحزنني فلا بك ما أبالي

٦١- غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً علقت لضحكته رقاب المال

٦٢- من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل

٦٣- ألا إن خير الناس حياً وهالكاً أسير ثقيف عندهم في السلاسل

٦٤- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

٦٥- وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

(قافية الميم)

٦٦- ويوماً توافينا بوجه مقسّم كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم

٦٧- إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

٦٨- فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً

٦٩- فمضى وقدّمها وكانت عادة منه إذا هي عرّدت أقدامها

٧٠- فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما

٧١- ولا بفزارة الشعر الرقابا أجب الظهر ليس له سنام

٧٢- عشية ما تغنى الرماح مكانها ولا النبلُ إلا الأشرفيُّ المصممُ

٧٣- إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

٧٤- أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحي العظام البيض وهي رميم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧٥- لعـزة مـوحـشـاً طلل قـديم

٧٦- على حالةٍ لو أن في القوم حاتماً على جـوده لضـن بالماء حـاتمُ

٧٧- فـمـا أمّ الرديـن وإن أدّلت بعـالمةٍ بأخـلاقِ الكرامِ

٧٨- إذا الشيطان قصّعَ في قفاها تنـفـقـناه بالحـبل التـؤامِ

٧٩- سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاعِ ذي الأكم

٨٠- لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّف له لبـد أظـفـاره لم تـقلـم

(قافية النون)

٨١- ولقد أمر على اللئيم يَسُبّني فمضيتُ ثمّت قلتُ لا يعنيني

٨٢- ومهما يكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفىً على الناس تعلم

٨٣- وصـاليـات ككمـا يـؤثفين

٨٤- قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

٨٥- رجـلان من ضبـة أخبـرانا إنا رأينا رجـلاً عـريانا

٨٦- لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

٨٧- بأني قد لقيت الغول تهوي بسهبٍ كالصحيفة صحصحان

٨٨- فأضربها بلا دهشٍ فخرت صريعاً لليدين وللجرانِ

٧٩- أمرتك الخير فافعل ما أمرت به والخير والشر عند الله مثلان

٨٠-ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين

جبهتما بالنعت لا بالنعتين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(الهاء)

٨١-يا شاة ما قنص لمن حلت له فرميت غفلة عينه عن شاته

٨٢- مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

٨٣- وجارة جساس أبانا بنابها كليباً غلت ناب كليب بواؤها

٨٤- علفتُها تبناً وماءً بارداً حتى غدَت همّالةً عيناها

٨٥- نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها

(الياء)

٨٦ -أنا أبو النجم وشعري شعري

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس أنصاف الأبيات

٨٧- تدعـــــــوا أنفـــــــه الريب

٨٨- منا الذي اختير الرجال سماحة

٨٩- حلفت لهـا بالله حلفـة فـاجـر

٩٠- إلى ضـــوء نار في يفـاع تحـرق

٩١- و بات على النار الندى و المحـرق

٩٢- فـــــفي آخـــرين قـــد أنكـوا

٩٣-كـان مـجـر الرامـسـات ذيولهـا

٩٤- بما قـد أرى فـيـهـا أوانـس بدنا

٩٥- غـسلتـه قـبل القطا و فـرطتـه

٩٦- و كل خليل غيـرها ضم نـفسـه

٩٧- كـنـت مـنـه ووالـدي بـريـا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Al-Zamakshari: A Critic

"A Study of Al-Kashshāf Poetic Proofs on Styles of Structure"

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

This study explores systematically the concept of the poetry evidence in Al-Kashshaf of Al-Zamakshari. In this distinct reference there are hundred and five examples which were used as evidence for syntactic and semantic phenomena. Al-Zamakshari stand in dealing with these evidence does not reflect scientific and logical criteria.

However, Al-Zamakshari deals with these poetry evidence in flexible and debatable analysis which shows that he used to overpass the traditional and classical theory in coping with the data of poetic evidence.